

ديسمبر ١٩٣٦

سيرة الجواهرات



وافق البرلمان بمجلسيه على مشروع المعاهدة
وكذلك تمت الموافقة من البرلمان البريطاني. وقد
كان هذا منتظرا لأن المعاهدة تتفق ومصالح
القسمين البريطاني والمصري. وهي من ناحيتنا
تفتتح لنا عهدا بالاستقلال والديمقراطية وهو عهد
نرجو ألا يصاب بادواء الاثورة
ولم يعد للحكومة ولا للشعب، بل لم يعد
لفرد من الامة أن يتنفر عن اصلاح البلاد
بالاشتغال بقضية الوطن. فان هذه القضية قد
انتهت بسلام. فيجب أن نرصد جهودنا من الآن
إلى ترقية الصحة والتعليم ومكافحة الفقر. ولبناء
فعلك في أن حكومتنا متنبهة إلى ذلك. فان ما تقوم
به وزارة التجارة والصناعة مثلا يدل على أنها
تضع البرامج لاصلاحات كبيرة. فأنها تدرس ضروب
التأمين الاجتماعي في الامم الاوربية بنية ادخاله
في مصر. وهي قد هيأت مشروعا للثقافات مهما
كان فيه من النقص فانه يعد باكورة حسنة للاصلاح
اذ أن اصلاح أحوال العمال يكاد يكون مستحيلا
بدون ثقافات منظمة

وأول ما يجب أن تقوم به بعد هذا الاستقرار
أن نمن قانونا يكفل بقاء المستور وصيانتها من

الانقلابات التي دعا إليها الاستيلاء . ثم بعد ذلك نشرع في مطاوعة الفقر باعتبار أنه الأساس لكل نقص آخر في الأمة

أبو الهول

ليس بين المنقبين عن الآثار المصرية من هو أبعد خطا من الأستاذ سليم حسن إلا إذا اعتبرنا مكتشفات كارتير التي أثارَت من إعجاب العالم المتعدن ودعشته أكثر مما أثارته مكتشفات الأستاذ سليم حسن . ولكن الشيء الذي يدعو إلى الأسف أنه ليس في قبور الأهرام التي اكتشفها الأستاذ سليم حسن ولا في قبور طيبة التي اكتشفها المستر كارتير ما ينير عن تاريخ مصر القديم . فإن ما كان يعرفه الأثريون قبل الاكتشاف لم يزد بهما شيئا جديدا

ولكن في اكتشاف لوحتين عند أبي الهول ما ربما ينير قليلا عن تاريخ مصر القديمة . فإن إحدى اللوحتين توهم أن أبا الهول هو تمثال رع أي الشمس المؤلفة . وكان المظنون أنه تمثال الملك تحفوع . وليس هناك عبارة يقينية تؤيد هذا الوهم الذي لو صح لكانت له قيمة كبيرة عن تسمير هذا القصر القديم — لنز أبي الهول

ARCHIVE

انقلاب في العراق

<http://Archivebeta.SakhriL.com>



سعيد نوري (من الوزارة السابقة)

حدث انقلاب خطير في العراق . فإن قائد الجيش بكر صدق أثار على العاصمة بطائرات التفت منشورات ولتسائل لكي تستقيل الوزارة . ثم لم تمض ساعات حتى قتل جعفر العسكري القائد العربي المشهور . ثم استقالت الوزارة وحل البرلمان ولم يعين يوم لا انتخاب برلمان جديد

وباستقالة وزارة ياسين الهاشمي عثت وزارة جديدة برئاسة حكمت سليمان . وقد علل هذا الانقلاب بأن الوزارة المابقة كانت بطيئة في الإصلاح وبأن القصر لم يكن راضيا عنها

وهذا الكلام الأخير يقبه ما كنا نسمعه أيام زكي الأبراشي في مصر . وهو لا يقال في حكومة

دستورية لأن القصر يجب أن يرضى عن الوزارة التي يرضاها الشعب

وهناك متفائلون
يقولون أن بكر صدقي
وحكمت سليمان يتوليان
السير بالعراق في النهج الذي
سار فيه مصطفى كمال. أي
توجيه الأمة نحو الحضارة
الغربية بقوة وسرعة. فإذا
كان الأمر كذلك فإن
الانقلاب لا يعد كارثة.
وإن كان من الممير أن
يوجد رجل أو رجال من
طراز مصطفى كمال

والعراقيون واقعون
بين إيران من الجنوب وتركيا
من الشمال. وكلتا هاتين
الدولتين قد سلخت عن
نفسها النوب الشرقي
وتوجهت نحو الحضارة
الاوربية. ولذلك يسهل على
العراق أن تحتذيهما



جعفر الممكري

الحرب الاسبانية

مضى على الثائرين الذين يقودهم فرانكو نحو ٢٤ يوما وهم طاجزون عن اقتناع مدريد بعد أن
كانوا يؤمنون أنهم سيفتحونها في أقل من ٢٤ ساعة. وقد اعتادت حكومة الجبهة الوطنية قوتها
وصمدت لقتال بل هي شرعت في الهجوم. ولا يرجع أن يقتصر أحد الفريقين على الآخر. وأغلب

الغن أن اسبانيا ستقسم قسمين : واحد في القرب حيث تسيطر عليه حكومة شيوعية . وآخر في
الصحراء يتخدر بسرعة نحو الشيوعية

وقد ارتبكت أوروبا لهذه الثورة الاسبانية وأوشكت أن تغترب في حرب لأن روسيا كانت
ولا تزال تتأخذ حكومة الجبهة . وكذلك تفعل فرنسا . في حين أن إيطاليا وألمانيا وبرتغال يساعدن
هذه حكومة فرانكو . وقد أعلن فرانكو الحصار البحري على حكومة الجبهة . وهذا يعني أنه سيفتح
البحر والجزر التي تقع على ميناء برشلونة . وما دامت الحكومات الأوربية - ما عدا إيطاليا
وألمانيا - لم تعترف به فإن التصادم بينها وبينه ليس بعيدا . وقد أصبحت أوروبا كلها هذه الأيام في
حال عقلية تعب الخال التي ساقها إلى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ . فإن كل دولة تعتمد للحرب
وتعقر أبنائها بالضرائب الباهظة لصنع المدافع وتكوين ذخائر . وتتهقرت عصبية الأمم من مسرح
السياسة حتى كأنها لا وجود لها . والواسوس مملأ الجو . فإن بريطانيا لا تترشح إلى الاستعداد
الحربي الذي تبديه إيطاليا في البحر المتوسط . وبلجيكا تعلن من الآن حيادها في حرب قادمة
بين ألمانيا وفرنسا

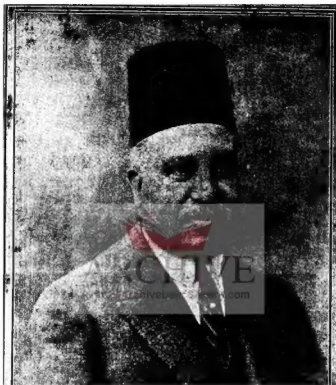
ألمانيا واليابان

وفي هذا الارتباك العام والواسوس السائدة أعلن اتفاق يسه المحالفة بين اليابان وألمانيا غايته
مكافحة الشيوعية . والأصل في هذا الاتفاق هو خوف ألمانيا من الاتفاق الذي عقده بين روسيا وفرنسا .
فقد فسرت ألمانيا بأنه محالفة بين هاتين الدولتين عليا . ولا يسع النصف إلا أن يعتقد ذلك أيضا
وأوربا هي الآن بمثابة المدينة التي قتلت قضاها وهدمت محكمتها وركت الحكم لغواها .
فإن إيطاليا قد حملت على الغاء عصبية الأمم فألفتها بالتحدي المتوالي ولم تبق منها غير الاسم . وجميع
الظواهر تدل على أن العالم يجب أن ينتظر حربا أخرى أهول من الحرب الكبرى قبل أن تنفخ أوروبا
على الغناء « الولايات المتحدة الأوربية »

نظرية الميكروبات

يرى القاري في هذا العدد مقالا منيرا للأستاذ رمسيس شحاتة عن النظرية الميكروبية القائلة
بأن الأمراض المعدية تعود إلى ميكروبات . فإن الكاتب يلخص هنا آراء جديدة يقول بها علماء
محدثون وينكرون فيها ما عزي إلى الميكروبات من الأهمية . فإن الميكروب لا يهاجم الجسم بل
الجسم هو الذي يجذب الميكروب على نحو ما يجذب جسم الميت ميكروب الففن . ومن هنا يجب
أن يتجه الطب نحو تعوية الجسم وليس نحو مكافحة الميكروب بالذات . وهذا المقال يتفق والتزعة
البيولوجية لهذه المجلة التي تروء المبادئ الثقافية لنقل ما يجد فيها من الآراء

النهضة الصناعية



صاحب المعادة محمد طلعت حرب باشا

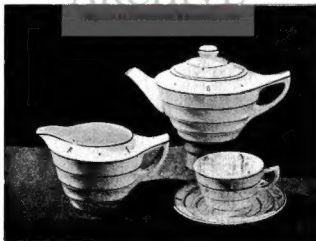
مما يسر جميع الواقفين على التطور الاقتصادي في البلاد أن النهضة الصناعية تتقدم ببطء ولكن مع الاطمئنان . والفضل في تقدمها لشركات بنك مصر المختلفة : وآخر مانوويه عن تقديمها أن شركة الغزل والنسيج بالحلة الكبرى قد أعلنت عن زيادة رأس مالها حتى يبلغ مليون جنيه . وليس الوقت بعيدا حين يمكن مصانع المحلة أن تكفي القطر كله بالأقمشة القطنية

الهبة الثانية

أرسلنا مع هذا العدد الهدية الثانية للمشتركين وهي كتاب الأستاذ أحمد زكي بدوي عن التطور الديني . أما الكتاب الأول فهو الحياة الجديدة للأستاذ قولا يوسف



ARCHIVE



اشتهرت إنجلترا بخزف ودجود ولا يزال الانجليز يمتعون طقوس الشاي والقهوة على
طريقة ودجود . وهنا طقمان للقهوة صنما على هذه الطريقة



<http://Archivebeta.Bakhril.com>

المراوح

رسم زيتي للرسام الانجليزي بيرسكين

ألمانيا والاصلاح الاجتماعي

الاشتراكية — سواء أ كانت ديمقراطية أم وطنية — هي من المخترعات الألمانية فان زعيمها المكروه الآن «كارل ماركس» كان ألمانيا بثقافته وافته وان لم يكن كذلك بدمه اليهودي وهو يكره الآن في ألمانيا لأن اشتراكيته كانت طلمية ليس فيها شيء من الوطنية ، ولأن روسيا قد جعلته نبيها المعصوم ولأن الدم اليهودي كان يجري في عروقه

ولكن ألمانيا ليست اشتراكية بسبب كارل ماركس فقط . فان الألمان منذ أيام الامبراطرة وبسارك بل منذ أيام هيجسل كانوا ولا يزالون ينظرون الى « الدولة » كأنها محور النظام أو القلب الذي تمزى اليه الحياة الاجتماعية . وقد شرعوا أيام بسمارك في وضع ما يسمى الآن « التأمين الاجتماعي » اي ان الدولة يجب أن تكفل للعامل وللمسن وللمريض جزاء ما ليا يقبه الحاجة والاشتراكية مذهب اقتصادي اجتماعي يمكن أن يتخذ ألوانا مختلفة . فيكون ديمقراطيا صرفا لا يكاد يكون للدولة شأن فيه أو قد يكون حكوميا مركزيا الدولة فيه هي كل شيء . وقد عرفنا نحن في مصر مثل هذا النظام الثاني أيام الترواعنة كما ثبت ذلك كتاب دبرين الذي ترجمه الى العربية الأستاذ أنطون ذكرى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولا تخلو أمة متحدة من لون من ألوان الاشتراكية . وإذا تركنا روسيا جانبا فاننا نجد ان أسوج هي أكثر الأمم الأوروبية اقبالا على الاشتراكية ذلك انها قد صممت التأمين الاجتماعي وأسست الحكومة هناك طائفة من المصانع تديرها نفسها وتبيع منتجاتها للجمهور . ويلي أسوج ألمانيا ثم بريطانيا . والذي يقرأ خطب الرئيس روزفلت ويتأمل مشروطاته لا يسه إلا الاعتقاد بأن الرجل اشتراكي لاغش فيه . والواقع انه ليس في العالم رجل ينطوي قلبه على البر او ذهنه على النظام إلا ويرى نفسه سائرا في طريق من الطرق الاشتراكية المختلفة التي تؤدي إلى تأمين جميع أفراد الأمة من الفقر والمرض والشيخوخة والجهل . ولا عبرة بعد ذلك أن تكون هذه الاشتراكية « وطنية » على مذهب هتلر أو « عالمية » على مذهب كارل ماركس

وألمانيا هي الآن أقل الأمم الأوروبية ذهبيا إذا اعتبرنا مثويه الذهب إلى السكان ولكن النظام أو الأنظمة الاشتراكية التي تمارسها قد جعلت كل عامل فيها أما مستخدما يؤثر وأما حاملا تؤدي له أمانة العطل . وقد منع أبواب المصانع من الاستعداد بالمهال كما منعوا من الاستعداد بالجمهور . فلا يجوز لهم طرد المهال كما لا يجوز لهم فرض الانعاز الباهظة على منتجاتهم . ولكل عامل الحق في

أجازة سنوية مأجورة كما لو كان يعمل
وقد أسس هتلر هيئات تسمى « القوة من المرح » لاستعمال فراغ العمال فيما يلتذون من
النشاط الذي يحبس الجسم والدهن . وهناك هيئة أخرى تدعى « هيئة الرضاء الاقتصادى الوطنى »
فايتها مسكافة الحاجات التى يجلبها الشتاء على الفقراء . كما أن هدم البيوت القديمة وإصلاح الأرض
الزراعية ، قد سار كلاهما سيرا حسنا
والاشتراكية الوطنية فى ألمانيا فى مزاجها الدهنى الحاضر تنجبه نحو تقوية الحكومة والاستعداد
للماعة الخطر حين يتفخ فى بوق الحرب . ولذلك يتجه النشاط نحو خدمة الجمهور بالاستعداد
لهذه الساعة . فان المعاهدة التى بيننا وبين الانجليز قد نصت على طرق عسكرية . ونحن نتعلم من
تفقاها القادمة . ولكن فى ألمانيا من هذه الطرق مايزيد على ما يطلب منا مائة ضعف ، وهى من المعة
بحيث تتحمل ضغط المدافع والدبابات وما اليهما
والحكومة الألمانية كما تعنى بإيجاد تلاميذ للفلاحين يحفظون فيها غذاءهم أيام الصيف كذلك
تعنى بإيجاد أتومبيل يستعمله العامل ولايزيد ثمنه على ٦٠ أو ٥٠ جنيه . فإذا كانت الطرق العسكرية
تفيد فى التزه وجذب السياحين فكذلك الأتومبيل الرخيص بخدم العامل والفلاح أيام السلم
ويخدم الدولة أيام الحرب



الدار الجديدة التى بنيت فى مونيخ بألمانيا لإدارة الحزب الوطنى الاشتراكي



السيدة الفريدا شومان الفارسة الألمانية تجوب أنحاء ألمانيا على جوادها لجمع التبرعات لامة
الفتاة الفقراء . وستقطع ٣٥٠٠ كيلومتر في تجوالها الى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٣٧

القوانين والفراغة

كان الملك بوخوريس مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين أول من جمع شتات القوانين وأمر بتعديلها تعديلًا ينأى مع مقتضيات زمانه . وقد سميت مجموعته بمجموعة قوانين بوخوريس . وكان التعديل التشريعي مشعبًا بروح قوانين حلفائه الاشوريين والسكديانيين . وكان أظهر مكان للتعديل والاخذ بالاصول السكديانية والاشورية هو الجزء الخاص بالالتزامات على اعتبارها الاصل الاول للقانون وعليها تركز أسس المعاملات وفيها تتجلى وحدة التشريع العالمى ان صحت الاجلام يوما واعتنقت الشعوب جماء اصولا واحدة في المعاملات مصدرها اصول الالتزامات العامة . كما يرب في ذلك الاستاذ المعروف ادوار لامير في بحثه المستهضة . وسميت بمجموعة بوخوريس فيما بعد عند الاغريق بقانون المقود

ومن سنة ٥٦٩ الى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد حكم مصر أمسيس الثانى أحد ملوك الاسرة السادسة والعشرين وأصدر هو الآخر مجموعة سميت باسمه أي مجموعة أمسيس . ومن سنة ٤٥٥ الى سنة ٣٩٩ جاء الملك نريت مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين وأعاد العمل بمجموعة بوخوريس بعد تعديلها وتهذيبها

ويقول المؤرخون بل يؤكدون ان العمل بمجموعة بوخوريس - نريت ظل قائما في بعض العصور الرومانية حتى سنة ٢١٢ ميلادية

وقد تأثرت تشريعات البلاد النخاعة على شواطئ البحر الابيض المتوسط بالاصول التشريعية المصرية بالرجوع الى بوخوريس ، وبوخوريس - نريت . وقد أخذت التشريعات الاغريقية عينا كثيرا عنها . أى ان الاخذ بالتبادلي التشريعي كان مغروفا لدى المصريين والاعريق وظل للتشريعات المصرية القديمة أثر ظاهر في التشريعات الرومانية حتى سنة ٢١٢ م كما تقدم . وأكثر الاغريق من الاخذ عن التشريع المصرى القديم عندما حضر لمصر مشرعهم المعروف سولون ثم عاد لبلاده بعد ذلك وهو يحمل في دأسه ما سمعته له قدرته المتقية القانونية من الأماة التشريعية المصرية حتى ذاعت الاصول القانونية المصرية القديمة ذوقا ظاهرا الآرا في التشريعات الاغريقية

لم يقف أثر التشريع المصري القديم عند الاغريق فحسب بل ذهب الى روما كما تقدم . ولما قام
هيرودوت وأعاد في الآلاف الأولمبية . بمائة التشريعات المصرية وأخصها مجموعة أحسن النض
الرومانيون الى ذلك واقتبسوا منها شيئاً كثيراً وأودعوها مجموعة الاثنتي عشرة لوحة الموضوع
سنة ٥٥٥ — ٤٠٩ قبل الميلاد وهو الوقت الذي كان فيه أحسن الثاني يحكم مصر باعتباره أحد
ملوك الأسرة السادسة والعشرين

ومجموعة الاثنتي عشرة لوحة الموضوع قبل التاريخ الميلادي بأربعة قرون ونصف قرن هي
أول مرحلة من مراحل عهد التجميع عند الرومان حيث قامت بعملها جماعة من أقران الرومان
وعند أفرادها عشرة صاغوها وأفرغوها في قالب تشريعي وقدموها لمجلس الشعب وعلفت بعد
ذلك بالسوق العامة . ثم أحرقتها الغاليون عندما أحرقوا روما سنة ٣٩١ قبل الميلاد . والقوحت
الوجود بعد أنما هي صورتها لا أصلها

من هذا يتبين ان التشريع المصري القديم دخل بلاد الاغريق وبلاد البحر المتوسط ودخل روما
وظل العمل آخذاً بأصوله حتى سنة ٢١٢ بعد الميلاد
ولعل السبب في هذا التسرب التشريعي أنما يرجع الى ثلاثة التجميع وهي عصر الاسطول
الفتنة وتمديدها ونهذيتها تمديلاً ونهذيتها يتناسب مع ظروف عصر التجميع من بيان الاصل منفردا
والتعديل بعده

وأخذ الرومان من أربعة قرون ونصف قبل الميلاد الى القرن السادس بعد الميلاد — أي عصر
جوستنيان — يعملون في تهذيب الأصول القانونية وشرحها. شرحا مستفيضاً حتى البحوث. وذاعت
التصيرات العلية ذيوها عظيماً وكثرت المؤلفات الى أن بلغت ألفي مجلد تقريباً . فأمر الامبراطور
جوستنيان بتلخيصها فقها وتشريعاً وجمعت في أربع مجموعات في النصف الأول من القرن السادس .
وكان وما زال أهمها المجموعة النيقية في تقرير الأصول القانونية وهي مجموعة الترجمة أو الهاندكت
صياغة لم أخرجه أديفنت مشرع الرومان مدة عشرة قرون . أربع قبل الميلاد وستة بعد الميلاد
وقد أصبحت هيدي هعويب المأخرة حتى قال فيها المقترع « فرنج » الإلماني ان القانون الروماني
أصبح غريباً لاذماً من عناصر المدينة

وقد عنت به درساً وتحليلاً الأهم الأوربية في القرون الوسطى . وفي عصر النهضة سبعة جرونيان
في القرن الحادي عشر وأطلق على أبحاثه في التاريخ اسم « تاريخ الجاهل » أو أسرار الجاهل

وعلى رأسهم العالم الإيطالي « اينريوس » وجاء بعده الفارحون الاربية المعروفون ودون البسكي
 أبحاثهم في مجموعة عرفت بمجموعة « آكوس » . ثم أعقبهم الفارحون الفارحين السابقين وظهروا
 في ايطاليا وفرنسا وألمانيا . ولعل أشهرهم للإيطالي « بارتول » الذي كان له القدر المثل في التحليل
 والشرح . وفي القرن السادس عشر نبغ في القانون الروماني من حيث الشرح والتحليل وتعب
 المصادر عدم غير قليل من العلماء في ايطاليا وهولندا وفرنسا . وعرف في هذه الأخيرة على الأخص
 العالمان « دوما » و « بواتيه » الذي طبقت شهرته الأفاق العلمية والأوساط القانونية حتى اعتبر
 مصدرا للقوانين الفرنسية الموضوعية سنة ١٨٠٤ . وأخصها القانون المدني وفي ألمانيا نبغ في
 القانون الروماني من الناحية التاريخية والفلسفية وذلك في القرن التاسع عشر العالمان الشهيران
 « سافيني » و « اهرنج »

• • •

وفي الوقت الذي بلغ فيه الفقه الروماني والتشريع الروماني هذا المبلغ العظيم — وهو القرن
 السادس بعد الميلاد — لما يظهر بعد التشريع الاسلامي ولما تظهر العلوم الفقهية الاسلامية . وزيد
 هنا بمباراة الاصول الفقهية الاحكام القانونية والمبادئ الاصلية الخاصة فقط بالمعاملات وتنظيم
 علاقات الافراد بعضهم بعض أو علاقاتهم بالحكومات . ان أي بحثنا مقصور على غير ما يتناوله
 البحث الديني البحث

ويظهر لنا من استقراء التاريخ أن الاصول العلمية الفقهية والاحكام التشريعية الاسلامية لم
 تظهر ظهورا جليا في العصر المسي بالعصر المكي الذي بدأ بظهور الدولة العباسية حوالي
 أوائل القرن الثامن الميلادي (سنة ١٣٢ هـ ٧١٣ م) حيث ظهر الائمة الاربية وراجت مذاهبهم
 وأذاعها لامبذم ومريدوم وآخر المذاهب الاربية مذهب الامام حنبل اذ ظهر في أوائل القرن
 التاسع الميلادي

وفتح العرب مصر . وكانت مصر قبل دخولهم مسوكة بالاصول القانونية الرومانية . وبدخول
 العرب زال التشريع الروماني . وحل محله التشريع الاسلامي وأخذ فيها على الأخص بمذهب الامام
 الشافعي . ثم بمذهب الاسماعيلية . وأخيرا سادت المذاهب الاربية في القرن الميلادي الثالث عشر
 في عهد الظاهر بيبرس (سنة ١٢٤٤ م)

ولما دخل المماليك مصر حملوا معهم القوانين القنارية وفي طلبها مجموعة الاحكام التي وضعها

ملك التنازع بينكزخان وهي المروفة عند المصريين في ذلك العهد بالسياسة واسمها الحقيقي الياسه على
 انهم أبقوا العمل بالشريعة الاسلاميه بجانب القوانين التننارية
 ولما فتش العنانيون مصر سنة ١٥٧٦ م أخذوا في تطبيق الاحكام الشرعية الاسلامية واعتبروا
 مذهب الامام أبي حنيفة المذهب الرسمي
 ولما دخل الفرنسيون مصر في حلهم المروفة أحدثوا انقلابا خاصا في النظم المألوفة ولكنهم
 عادوا فأخذوا بنظام القاضي الشرعي من حيث تحديد دائرة اختصاصه
 وفي عهد محمد علي ذاعت أحكام الشريعة الاسلامية ووضعت قوانين أخرى بجانبها كانت تدعو
 اليها حالة تطور البلاد وأخيرا وضعت القوانين المختلطة سنة ١٨٧٥ أخذوا عن القوانين الفرنسية
 ووضعت القوانين الاهلية سنة ١٨٨٣ أخذوا عن القوانين المختلطة مع بعض التعديل عن القانون
 الايطالي في المرافعات

جوسميتيان

ARCHIVE



نشوء الحضارة

للاستاذ احمد زكى بدوى

إن تاريخ الانسان الاول هو صورة لنضاله الهائم مع البيئة لاشباع حاجاته . وليس التقدم المادى إلا نتيجة جهود الانسان لتذليل العقبات الطبيعية التى تقابله . فلنحاول الآن استعراض هذه الجهود

كان الانسان الاول يعيش كما تعيش القرود . فلم تكن ملابسه إلا الخلود ودرهه الحيوانات ، ومسكنه تحت أغصان الاشجار والكهوف . كانت حاجته الأولى الحصول على الطعام . وأبسط الطرق الموصلة إلى اشباع هذه الحاجة هى جمع الأطعمة فى الأماكن التى تتوافر فيها النباتات المختلفة أو صيد الاسماك على السواحل . وكذا صيد بعض الحيوانات البرية . وكان ذلك يستدعى مهارة عظيمة واستعمال الخيعة ، ومعرفة طباع الحيوان المراد صيده ومواقع نومه . وعلى توالى الزمن تعلم الانسان تدجين بعض أنواع الحيوان وكان الحصان والكلب أهمهما فاستخدما فى الصيد

إن حاجة الانسان الثانية هى الدفاع عن نفسه وقد اخترع لذلك كثيراً من الأدوات الحجرية شبيهة بمخالب وقرون الحيوانات ولذلك سمي الانسان « الحيوان المستخدم للآلات » يميزا له عن باقى الحيوانات . وهذه التسمية ذات قيمة لأنها تميز الانسان العطرى بسيفه وباطلته عن النور بقرونه والذب بأسنانه



احمد زكى بدوى

إذا أردنا أن نحدد معنى الحضارة أمكننا أن نعى بها كل الأدوات التى نستعين بها فى الوجود والتى تمكن بها من مكافحة الوسط الطبيعى الذى نعيش فيه . وليست سهام المتوحشين الخشبية أو القوارب المصنوعة من قشور الشجر أو الاسقف المصنوعة من الأغصان أو حيل المتوحشين الأولية — ليس كل ذلك إلا أطواراً من الاطوار الأولى لنشوء الحضارة

كانت تقدم الآلات التى تركها الانسان معبوءة من الصخور الصلبة كالصوان مهذبة تهذيباً بسيطاً

لتقوم بأغراضه البسيطة كالصيد والدفاع عن النفس وقطع الأشجار وهلم جرا . على أنه كان يدأب دائما في تحسين هذه الآلات كلما ارتقى في سلم الحضارة وكان يساعده على هذا التحسين نموه العقلي المتزايد . فكانت الآلات الحجرية تزداد اتقاناً مع مضي الزمن حتى صارت آلات نافعة وثيقة . ولم يقف نموه العقلي عند ذلك فسرعان ما اكتشف سرّاً أن له أكبر الأثر في حياته ذلك هو فن استنباط الفلزات من خاماتها المعدنية الأولى . وقد يكون وقوفه على سر هذا الفن قد جاء عن طريق المصادفة على أنه على كل حال عرف كيف يستفيد منه فليجأ إلى صناعة آلاته من البرونز الذي هو مزيج من النحاس والقصع . ومن ذلك المهد كان تقدم الإنسان بخطى واسعة حتى وصل إلى بدء عصوره التاريخية المعروفة

إن اكتشاف سر استخراج الفلزات من المعادن كان يرجع إلى اكتشاف طريقة الحصول على النار . وبلغ من أهمية النار أن هبدها الإنسان في العصور الأولى وآله قوتها ، مع أنه استخدم هذه القوة . لذلك كانت عبادة النار عامة عند معظم الشعوب الأولى وعند الآريين خاصة فقد كانت هندهم عنصر الحياة ينبت في الوجود ظاهراً وخفياً ويمسى كل شيء

ساعدت النار على تحويل المعادن واستخدامها ، فأخذت الحضارة في الرق الحقيقي . لأن قوة المعدن سهلت صعوبة معالجة مواد الصناعة . فالعجوة التي لم تكن تقطع بالقأس الحجرية إلا في أيام تقطعها القأس المعدنية في ساعات والقارب الذي كان يقر بأحجار الصوان في شهور ، تنقره الآلات المعدنية في أيام

كان الرجل في أول الأمر يضع لنفسه ولاسرمه السلاح الساذج والملابس والكوخ والقارب وغيرها . فلما اتسع نطاق الأسرة وتكونت القبائل ، شرع الرجال يشادون معنوياتهم . فتولد من هذا تقسيم العمل . وأدى هذا التقسيم إلى اتقان الصناعات بسرعة لأن كل صانع أخذ يشخص في نوع واحد من السلم ويعمل على تحسينه وزيادة المصنوع منه ثم أخذ عنه أولاده الصناعة فوسغتها فيهم العادة والوراثة ومن هنا ترفت الصناعة

بعد أن ظل الإنسان يبيع أحقاباً طوية على جمع الطعام والصيد انتقل إلى دور الزراعة ولكننا نجهد ابتداءً وكيفية نشوء هذا الدور وأغلب ماوصل لنا عنه هو القصص الميثولوجية التي ترجع لقوم الزراعة إلى أصول دينية . كانت معرفة الإنسان للزراعة من أهم عوامل رقي الحضارة . لأن الزراعة اقتضت إقامة الإنسان بمكان واحد لا يتحول عنه ، وتستدعي الإقامة للسكن في كوخ أو غيره ، فنهأت صناعة البناء ثم صار استئناس الحيوان — الذي كان يحدث اتصالاً وقت الصيد — تدريجياً

دائماً ، فعمرت صناعات الألبان والاصواف والاور . وعرف الانسان من اللبن فوائد الخيرة فاستعملها في خبزه . واقتضت الزراعة توقفاً محكماً . فاضطر الانسان إلى البحث في دورة الفصول بدلا من التوقيت القمري . لأنه لم يعد ينفعه في الزراعة فتوصل إلى معرفة السنة الشمسية وقليل من علم الهيئة

كان الانسان القمري متصلاً تقريباً بالملكة الحيوانية ، بينما كانت المرأة متصلة بالملكة النباتية فالرجل يشتغل بالحرب والصيد والقنص وتربية الحيوانات . بينما تبذر المرأة البذور وتجمع الاثمار ورغم اشتراكهما في محصول صلهما فان كلا منهما كان يعمل بعدا عن الآخر . وأتى حين اجتمع فيه عمل الرجل كزراع يعمل المرأة كزراعة ، عندما أخذ الرجل يستخدم البقرة أو الثور لجبر المحراث . وأخذت المرأة تعتنى بالأغنام . وهنا تقدمت الزراعة . وأصبحت الاسرة خاضعة لنظام تعاوني في الانتاج يعمل كل أعضائه متضامنين تحت سلطة الزوج وأخذت الاسرة تنتج كل ما تحتاج اليه . وكان كل فرد قادراً تقريباً على القيام بجميع الاعمال الضرورية لذلك كان التبادل منعقداً فيها . ولكنه كان موجوداً بين القبائل التي تتنوع مواردها أي بين التي تبيع مثلها على الرعي والتي لا تعرف غير الصيد مورداً لغذائها . وهذا يحدث تقارب بين هذه القبائل فيتم تبادل المحاصيل بطريقة فطرية

إن حياة الانسان الاقتصادية هي الدعاة التي قامت عليها نظمته الاجتماعية المختلفة وقد فُتحت كلها من أصول ساذجة ، إلا أن معرفة هذه الاصول تقتضي الايمان بنظريات عديدة ويرجع ذلك إلى أن أغلب علماء الانسان لم يدرسوا الجماعات القمريّة في بيئة واحدة بل في عدة بيئات كأواسط افريقيا واستراليا وبعض جزائر المحيط الهندي . وطبيعي أن الجماعات التي عاشت في هذه الاماكن خضعت لظروف بيئتها الخاصة . فكان من ذلك اختلاف نظمها والذي كان من أثره اختلاف نظريات العلماء عن نشوء النظم الاجتماعية عامة . إلا أن أكثر هذه النظم شيوعاً وأقربها للتاريخ والواقع هو نظام الطوطمية

المشييرة الطوطمية هي جماعة تقع نظاماً دينياً يفرض مجموعة طقوس معينة تسمى الطابو ، ويأتي ارتباطها من أن أفرادها يحملون طوطماً واحداً وبعبارة أخرى اسماً واحداً . وهم لذلك يعتبرون أنفسهم أقارب بعضهم لبعض . والطوطم مصدر هذه القرابة . وهو غالباً حيوان أو نبات تمتد المشيرة أنها من سلالة ، فتجعل له رمزاً واسماً عامين . فإذا كان الطوطم ذئباً ، فان كل أفراد العشيرة يعتقدون أنهم من أصل ذئب وعلى ذلك فتيهم خواص الذئب

تقوم الاسرة في ظلال هذا النظام على صلات طوطمية . وتؤدي واجبات اجتماعية ودولية

واقتصادية وسياسية بدلاً من الواجبات الأبوية . والموانع التي يفرضها النظام الطوطى على الأسرة هي منع الزواج الداخلي وإباحة الزواج الخارجى . وذلك بأن يسي رجال العشيرة فى حدود العرف نساء العشيرة المحبوبة لهم ، فيقوم رجال العشيرة التى سيت نساهاها مخطف نساء العشيرة الاولى وهكذا : لأن الزواج محرم من نساء القبيلة ومباح من نساء القبائل الأخرى . وينتسب الابن فى حالة سبي المرأة لطوطم أبيه . أما إذا انتقل الرجل إلى عشيرة المرأة وظل بها ، فإن الانتساب هنا سيكون لطوطم الام

يعتبر الطوطم أيضاً إله القبيلة أى موجدتها وحاميها . وهو مبدأ الجماعة الوحيد وقوة ارتباطها الجامعة . وروحها العظيمة . لذلك كان موضع عبادة بصورة ساذجة . عبد الطوطم لأنه يمثل القوة الاجتماعية الموروثة فى الجماعة . فهو المكون للفرد الاجتماعى فى العشيرة الاولى ، وهو من ناحية الجزء الخارجى المحسوس مانسبه المبدأ أو الإله فإذا كان رمز الجماعة والله فى وقت واحد فذلك لأن الله والجماعة اعتبرا شيئاً واحداً . فكان إله العشيرة أو الطوطم هو العشيرة نفسها

كان تأثير النظام الطوطى عظيماً فى جميع الروابط الاجتماعية . فلم يقتصر عمله على إيجاد الأسرة والدين بل أوجد القانون والأخلاق قساعداً على جعل الإنسان القمطرى يعيش فى جماعات منظمة يدين فيها القتل والمعرفة ، بعيدة عن القوضى والفساد

كان القاتل يعتبر نجساً محرم على سائر أفراد القبيلة النظر اليه ، ولن يفتقر ذنبه إلا إذا قام ببعض الطقوس الطوطمية بأن يضحي مثلاً بحيوان لروح المقتول ، يظهر جسمه بدمه كان الإنسان يمتد أيضاً أن الطوطم يعطيه بعض القوة السحرية التى يمكنه أن يعتمد عليها فى الاحتفاظ بملكاته الشخصية فيقوم بعض الطقوس التى يظن أنها تجعل للشئ المراد الاحتفاظ به قوة سحرية يصبح بها خطراً على أى شخص يحسه خلاف صاحبه . فأن الممتلكات تترك لمدة ما فى حماية هذه الطقوس عند غياب صاحبها . فإذا رغب انسان فى حفظ ملابسه أو منزله أو آثاره فها عليه إلا أن يجرى طقوس الطوطم عليها ، وبذلك تصبح فى أمان ، لأنه وضع طوطمه عليها ، وذلك فى نظره كاف بأن يحمل الامنة لسجل من يقرئها . أى يصاب بالمرض أو الموت

كان لنظام الطوطى أثر بين فى خدمة الحضارة وتقدمها . فهو أبجل التعاون بين أفراد الجماعة . والدافع على تضحياتهم بالمنفعة الشخصية فى سبيل منفعة الجميع . فكما لهذا النظام من عدة خرافات تمت تدريجياً ثم أعطاها طمع الرؤساء والسحرة بعد ذلك أنساعاً صناعياً . وفى خدمة قضية البخل والطمع خدمت الخرافات قنبية المدنية فقد أوجد هذا النظام عقدة الزواج وبذرة الدين وقبسية

الحياة البشرية وحقوق الملكية . وبمرور الزمن نمت الافكار وأصبحت قاذرة على الوقوف بنفسها وطرحت سندها المكون من المفردات التي كانت مصادرها الوحيد في الأزمنة الأولى . فاختفت الروابط العنصرية وانتقلت المشاعر الى نظام التوطن ، وتغيرت وظيفة رئيس العشيرة العنصرية إلى وظيفة سياسية ولما تقدمت المعاشير اقتصادياً ونمت الثروات وصلت إلى نظام الدولة ، ووجدت الحكمة فاصبحت الادارة التي تتولى بها الدولة مهمتها

لنتنقل الآن إلى التحدث عن اللغة والدين وهذان ^١ انهما في الواقع أحد أصول وثمرات الحضارة . فاللغة كانت أحد عوامل تكوين الأمم . ثم كان فيما بعد دليلاً على رقي الأمة . وكذلك كان الدين أحد وسائل التعبير عن شخصية الجماعة وكان رقيه في نفس الوقت دليلاً على رقي الدوق الاجتماعي

التكلام هو الحد الفاصل بين الانسان والحيوان ، وقد استخدم الانسان في تطوره عدة طرق للضبط بالاشارة والصياح والتكلم ثم الرسم وأخيراً الكتابة

كانت الالفاظ الأولى بسيطة لا تتمدى بعض أمثال وقليل من الاسماء مكونة من مقطع واحد ولغة الأطفال أكبر دليل على عدم قدرة الانسان القديم على نطق كلمات من عدة مقاطع ، ولما استعملت الكلمات الغراميقية أو النحوية ساعدت على تكوين اللغة ذات المقاطع ، وبلاشتقاق ابداع الانسان من الكلمات التي تدل على الافكار السهلة الواضحة كلمات تدل على أفكار مركبة عويصة ، وكان ذلك أعظم طريق سار فيه الانسان من الجهل إلى المعرفة

كانت الكتابة في أول أمرها تمثيلاً لأطراف الاشياء ثم اختصرت الخطوط فانتخب صوراً قريبة من أصولها قريباً ما ، وهذا هو دور تصوير الفكرة . وثلاث دور تصوير الصوت وذلك لما تغلبت العلامة المميزة لصوت الكلمة على مدلولها في الاعتبار والصور الأخير هو دور التصوير بالأحرف وذلك لما حلت الاصوات إلى عناصرها الأولية وأشير إلى كل عنصر منها بعلامة ومن تركيب هذه العلامات أو الحروف تألفت الكلمات

واللغة هي البذرة في الثقافة . والثقافة هي النتائج التي لتفاعل عقل على آخر وبحصول الافكار والمشاعر ونواحي النشاط المشتركة بين العقليين . وبدون العمل لا تكون هناك ثقافة ولا تقدم في الذكاء . لذلك كانت الثقافة ضمن التقاليد الاجتماعية التي اعتادها الانسان ببطء وثبات وانتشارها جعلت الانسان يمتاز على بقية المخلوقات

نعاً الفن من أصول سحرية ، فكان الانسان يقوم بالتصوير معتقداً أن قوة الصورة تعطي

قوة للواقع . فلكي يكون الصيد ناجحاً كان الانسان يكرر رسم الحيوان الذي يريد صيده ظناً منه بان ذلك يؤدي إلى وفرة الحيوان ، أو يرسمه هالكا أمامه معتقداً أن ذلك يتحقق في الصيد وكذلك نقاً النحت من أصول دينية . فكانت تصنع تماثيل الآلهة وأوتان الاسلاف على شكل خشن . لم تكن رموزاً إنما كانت الانواب أو المساكن التي تتقمص فيها الارواح . لان الروح قد تحمل بأي مكان وفقاً لرغبتها . في النبات أو الحيوان أو الحجر . لذلك مثلت ارواح لاسلاف في صور ساذجة لتعكس خواصهم بصفة رمزية . وعلى توالي الزمن وجد الانسان لذة قسبة في أعماله التقليدية فاجب بها لاتقان صنعها وجمال شكلها ومن ثم أخذ الفن يتخلص من الصنعة والدين

وقد نشأ الشعر ايضاً من الدين ، فكانت قصص الابطال الاولى قصصاً شعرية تطورت إلى ميثولوجيات دينية . وكذا نشأت الدراما من فكرة التقمص ، أي حلول روح انسان أو حيوان في جسم الانسان ، فتشكلم وتعمل خلاله . ولذلك صنعت الاشكال الاولى للاقنعة ليلبسها الانسان ، فيقوم بدور الحيوانات المختلفة حقيقية أو خيالية

كان لطقوس العبادات الدينية الاولى مظهر فني ، فكان القداس الذي يقام للآلهة توثق فيه حياة الآلهة والادوار المختلفة التي تقمص فيها . وكان للكهنة يقلدون الحالات الموصوفة . وعندما ينتهي القداس يعتقد المحتفلون أن روح الاله ستضعف فيهم



عقيدة الاولوية

الدكتور ا. زكي ابو شادي

ان التعليم العلي يؤدي حتما الى شىء من الصراع مع الدين . وقد لحظت منذ نشأتى ان كثيرين من الاطباء تنزعج عقائدهم الدينية ثم ينزعج نهائيا ايمانهم الالهى . ومنهم من يدعى التوفيق بين العلم والدين ، ولكن اختبار دعواهم يظهر عجزهم عن هذا التوفيق ، وما سبب ذلك الا ضعف ايمانهم المعطى وسطحية نظراتهم وفقدان الشجاعة الكافية لاجتاد هذا التوفيق المنشود ، مادام الدين ظاهرة اجتماعية كائنة فعلا وواجبة التقدير

وقد كان شأنى شأن الجندى الحريء الذى يجد الصفوف قد اعتقدت الرائد فيتطوع مندفعاً للقيام بهذه المهمة التى ربما لم يكن كفؤاً لها ، ولكن غيرته المعنوية تزجيه وشجاعته تسنده . وكنت أجد تشبيها غير قليل من امتدادى المرحوم السيد محمد رشيد رضا الذى كنت أكتبه وأكتب مجلته « المنار » حتى إن اقامتى فى إنجلترا . وكان هذا الامام الجليل يشجنى دائما وان خالف آرائى مرات ، ولكنه كان يعنى بجمهور سمي للتوفيق الصحيح بين العلم والدين فى شجاعة لا تنافى الرشد والاعتزان

وسأجمل حديثى الآن متناولا مسألة المسائل الدينية والصوفية ألا وهى : « عقيدة الاولوية » فأقول انه لولا ايمانى بها لما تمحست متطوعا هذه السنين الطويلة للاشادة بها وتسميرها قدر طاقى ولى هذه الايات المعنوية « المطف الالهى » من ديوان « الشفق البالى » فهى من اعترافى الوجدانية الصريحة :

وأحس أنى فى اندماج دائم	بالكون، والكون العظيم حبابى
أنأمل الساعات فى أجرامه	وكأنتى متأمل مرآتى
وأنال عطفاً من جبل حنانه	يسرى الى روحى بنير فوات
حسّ خفى لست أدرك حكمه	وكأعما هو معجز الآيت
لمن العزم ، وكان خير مؤذن	بالله فى ملكوته الحياتى

وهذا الاحساس هو من دوافع شغفي بيلم القلق وزردي على الراسد ، لاني أجد في ذلك عبادة صوفية واستغراقا في معاني الالهوية ، ولولا هذا الاحساس لما تأملت وفسرت ، فالشعور الديني ليس عقليا فحسب بل لا بد له من استمداد وجداني ، وهذا التأمل الصوفي هو مانعته الغزالي بالنظر الى وجه الله

• • •

إن فلسفة عقيدة الالهوية في نظري مردها الى نتيجة إحساس الجزء بالكل ، وسأعرج على لفتي الصوفية فلن أجد غيرها مسعفا في هذا المقام

واذا توسعنا في هذه النظرة فيخيل الى أن تعجيد الابطال متخرج عنها أو هو صورة منها ، لأن الطولة شمول وعظمة بحيث أن البطل في نظر مقدره — ان لم أقل عابديه — هو رمز للقدرة الغلابة الفاتكة ، وبسبارة أخرى أنه رمز الشمول . ولذلك نجد تعجيد الابطال الوطنيين والدينيين وغيرهم يكاد يبلغ عن غير وعي مرتبة التأليه ، خصوصا اذا كان البطل ميتا ، حتى ربط بعض الباحثين التعميق مثل جرانت ألن والاستاذ هالدين نشوء الآلهة عند الوثنيين وظهور القديسين عند غيرهم بعبادة الموتى . ومن المريب أن النفس البشرية شديدة الميل الى تفديس الموتى والانحراف بذلك انحرافا عظيما عن حادة التوحيد والمنطق السليم . وحتى في ضوء الدين الاسلامي الذي يعد المثل الاعلى في صراحة التوحيد نزع الدهماء من المسلمين بالرغم من أصوله الصريحة الى تعجيد الاولياء تعجيذا يخالف روح الاسلام ، مما ألجأ المصلحين أمثال محمد عبده ورشيد رضا والراغب وسوام الى هاربة هذه البدع التي تنكاد تؤدي الى الاشرار بالله

من هذا أنتقل الى التنبه الى أن عقيدة الالهوية من الناحية الفلسفية العملية هي ظاهرة سيكولوجية ، هي احساس الجزء بالكل ، وهي تتدرج تحت اسماء مختلفة من شعور الانسان نحو وطنه ونحو عريمه ونحو الانسانيه مثلا الى شعوره نحو الكون بأمره ونحو الالهوية الشاملة والمطافه

واذن فعقيدة الالهوية عند معتقبيها ليست وهما حتى ولو كان تفسيرها عند بعضهم وهما ، فالاحساس بالالهوية قد يكون واحدا « وان تدرج » عند أصحاب الديانات المختلفة من متدينين وهمجيين لانها ظاهرة سيكولوجية متماثلة المنشأ ولكن تفسيرها يختلف بينهم جد الاختلاف ولو كانوا جميعا مخلصين في ايمانهم

يقول الاستاذ رنجل باتيسون في كتابه « فكرة الله في ضوء الفلسفة الحديثة »
 ان احساسنا بهذه الفكرة دليل على وجود الله وهو يعتمد في تدليله على ظهور الغرض في
 النشوء وفي رأي العاجز أن هذا التدليل ليس قوياً وإن جاء من أستاذ الفلسفة في جامعة ادنبره ،
 وكان الاول به أن الاحساس باللاهوتية عند أغلبية الناس دليل على فطرية هذا الاحساس وأنه على
 تنكيف هذا الاحساس تنكيف مائي اللاهوتية التي تختلف جد الاختلاف حسب ثقافة الناس
 وطبائعهم ومؤهلهم وبيئاتهم

وهذا الاستاذ سورلي أستاذ الفلسفة الخلقية في جامعة كيمبردج يرى أن يقرن فكرة اللاهوتية
 بالمثالية الخيرية للوجود (راجع كتابه القيم الخلقية وفكرة الله) كما ان الاستاذ أ. ن. ألكسندر
 يرى ان اللاهوتية هي مثالية سائرة الى السكالم !

ومثل هذه النظرات الفكرية لمائي اللاهوتية لا تمتشى مع معظم البيانات السائدة التي تزعم الله
 سبحانه وتعالى عن ايمان الاستاذ ألكسندر على الأقل ، ولكننا مع هذا ليس لنا ان ننكر
 في حد ذاته قد لا يقل في حرارته عن ايمان مخالفه

• • •

ان ما يعنينا هنا هو أولا التلخيص لاحد الآراء الفلسفية اللاهوتية ثم التطبيق عليها
 بأرائي الخاصة التي تؤيد أن الايمان بالله يتمشى مع العلم ، على اعتبار انه ليس سليل الوهم أو الجهل
 أو الفلسفة الخاطئة

لهذا لن اذهب بعيداً الى فلسفة أرسطو وما بنى عليها من التدليل على وجود الخالق في عا
 السكتائكة خاصة ، فن يقبل العلم ولا الفلسفة الحديثة شيئاً من ذلك. وحتى في القرن السادس عشر
 لم تعدم المجتزأ جمية للعقلين بين اعضائها كرسطور مارلو وولتر رالي ، وقد رفضت الترويج لتلك
 الآراء السطحية وان التمت بسمة الفلسفة

وكان لدراسات جون لوك في سنة ١٦٧٢ للذهن الانساني مافضى على الآراء القديمة اللاهوتية
 سواء استمدت فلسفتها من أرسطو ام افلاطون . وقد انتهت اجاث لوك الى انه لا توجد فكرة في
 ذهن الانساني الا وكانت مكيفة من الوسائل التي تدلى بها المشاعر الانسانية . وجاء هيوم فعزز
 للأدريين ثم جون ستيوارت مل فلم يحكم بالمعرفة الا للمشاعر وحدها ثم سبنسر فصرح بأن
 القوة الاساسية للعالم غير معروفة ولا يمكن معرفتها

وقد آنحفت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » قراء العربية بترجمة كتابين قسيسين أحدهما « عرض تاريخي لفلسفه والعلم » تأليف أ. وولف استاذ للنطق بجامعة لندن ، والآخ « فلسفه المحدثين والمعاصرين » للمؤلف نفسه ، ففي وسع كل منا تصفحها وتصنع أمثالها للوقوف على تفصيل ما امله في هذا المقام

ومن الضروري الاشارة الى ظهور طائفة من الفلاسفة المؤمنين بين الانجليز ، وهم تلامذة الفلاسفة الالمان أمثال كانت ونغث وشلنج وهيجل وشوبنهاور وهارتمان ولوتز ، ولكن آراءهم لم تصمد أملم التقدم الفلسفي العالمي وان بقيت الآن بعض آراء لكانت وهيجل ولوتز في صورة منوعة . وأم هؤلاء الاعلام بلا جدال هو كانت وقد كان — على حد تصير الاستاذ وولف — شديد الاحترام للنتائج التي وصل اليها العلم الطبيعي بحيث لم يستطع رفض كل ما تذهب اليه تلك النتائج على الوجه الذي يدعو اليه مذهب هيوم التشككي الذي كان يقول انه كلما تعمق فيما يسميه نفسه غيظت وتمزق في بعض الاحساسات ولم يستطع أن يقص على نفسه أبدا ، وكان يعتبر كل ما يبدو حقيقيا مجموعاً متعدد من التأثيرات والآراء المتقطعة التي يكسبها تداعي العالمي مظهر الحوادث المتسلسلة . ويخيل لنا أن مادتها قائمة بخلطها في الظن بأن التأثيرات الماتة لتأثيرات سابقة هي بعينها ، وكل ما يوفق به هو تيار التجارب المتغيرة حتى الرياضيات نفسها ليست يقينية وأقصى ما يمكن افتراضه لشيء هو الاحتمال . كان الفلاسفة المؤمنون في العصور السابقة يعززون في التدليل على الالوهية بالطبيعة نفسها وبمظاهر الدنيا في ذاتها ، فمندم أن الاسباب الثانوية تدل على السبب الاول ، وأن النظام الكوني يدل على العقل الغير المحدود ، وأن الجمال في العالم يشير الى الروح الاعلى . ولكن كانت قضى على هذا الطراز من المنطق وأحل في موضعه طرازاً من التطلبل العلمي مقبها مدافنا جميعها الى موضعية وذاتية في عناصرها

وينوه الاستاذ وولف بمجدة الطريقة التي اتبعها كانت دفاعاً عن العلم ، وهي طريقة « التجريد » التي كانت تطورا بيناً للمذاهب القديمة عن « الافكار العامة » و« الحقائق الخالدة » و « الآراء المستكنة » ، فقد كان كانت يرى أن موضوعات العلم نتيجة لماملين : الاشياء المحسوسة وهي مستقلة عن العقل ، وبعض صور وارتباطات يقدمها العقل . وهذه الصور الآتية عن الالهام كالزمان والمكان والملاقات والقلولات المكربة (كالجوهر وعوارضه ، والملة والأثر الخ) هي أوليات سابقة من حيث أنها لا تكتسب بالتجربة إذ التجربة نفسها تستحيل بنيتها . ومن جهة

أخرى نجد مادة الحس لاحقة أي أنها نجيء فقط عن طريق التجربة وإن تكن لاتأني على ما هي عليه بالفعل بل متغيرة بالصور والمقولات السابقة ولا تصل المعرفة البشرية الى حقيقة الاشياء نفسها بل الى مظاهرها ، واستخدام الصور والمقولات الأولية في كل مايقع في دائرة التجارب البشرية حتى يمرر بل هو في الواقع أمر لا مفر منه ، ولكنها يجب ألا تطبق على ما يتجاوز تلك التجارب ، فالحياة الآخرة مثلا أبعد من متناول التجارب الانسانية ، واذن فلا يمكن أن يحسبنا موضوعاً للمناقشة ، فهما لا يمكن إثباتهما ولا نفيهما ، ولا يمكن الايمان بهما على أنهما من الاعتقادات التي تقوم على أسس نظرية بل على أسس عملية . وعلى هذه الاعتبارات العملية بنى كانت الاعتقاد بوجود الله وحرية الاختيار والخلود . فهذه الاعتقادات سمات تحتها أصول السلوك العملي المطلق ، كما أن الوجود الحقيقي لعالم الاشياء على صورة ما من المسلمات التي تحتها النتائج النظرية لعالم

ولكن هذا التدخل العملي الذي قدمه كانت لم يؤثر الا على قليلين لان أساسه العلمي ضعيف بخلاف نقده لثقل الخالص فقد كان له أثر بليغ على الافكار في القرن التاسع عشر ، وهكذا اضمحلت آراؤه كما اضمحلت آراء سابقيه من لم تصمد تعاليمهم لتتطور العلم وحفاظا للبحث النفساني

ولابد لنا من وقفة أمام ألمعية الفيلسوف الالماني هيغل الذي تأثر به أمثال بوسانجسكيه وكرونتش ، فقد انتهى هيغل من تأملاته الفلسفية الى أن العقل والطبيعة المادية هما « المطلق » بذاته لا مجرد مظاهر أو دلائل على مطلق مجهول ، وفوق ذلك فليس العقل والمادة حقيقتين متميزتين ولكنهما عصران تتحركون منهما عملية افصاح المطلق عن نفسه ، وبعبارة أخرى ان الله صكر والحقيقة شيء واحد ، وليس شيء غير حقيقة واحدة هي ما يدعوها « المطلق » وان هذه الحقيقة الروحية هي مرادف « الألوهية »

ومع كل هذه التفاسير الفلسفية أخذ الشك أو الاحقاد يطرد لان المتعلمين لا يعينهم أقل من الايمان بأن خلف هندسة الوجود عقلا الهيا منظما ضابطا ، وعلى وجه هذه الطبيعة المسحة الالهية البارة . فاذ لم يوقنوا بذلك انتفى ايمانهم حتما

وازدادت العلوم تقدما فزاد الايمان تضائلا بين المتعلمين ، لان التعليل العلمي للألوهية أخذ ينهزم ، واكتفى الفلاسفون بالكلام عن « الحاسة الدينية » كبرهان وجداني على وجود الله

وما يدنون بذلك الامزج الماطفة بالمقيدة المورثة ، وما كانت الماطفة في اعتبار السيكلوجية برهانا إيجابيا على وجود الشيء

أما في أمريكا ففلاسفها الذين يمنون بالديانات يصرحون بأن المقيدة الالهية ليست عنصرا ضروريا من الدين ، وأما بتصويرها مطابقة لمثالية أو لتفكرة مجردة أو لروح مبهم للعالم (راجع كتاب الفلسفة الأمريكية المعاصرة في مجلدين ومؤلفات جوزيف ما كابي) . وأما في الفلسفة الانجليزية فلدينا الأستاذ تيلر يعطين بوضوح ان الفلاسفة المتدينين يرفضون الآن في جلهم التعليل من نظام الوجود وجماله وقانونه وهندسته الطبيعية ويؤثرون الاهتمام بما ينتمونه « القيم » أو « الثاليات » معتبرين هذه القيم جوهر الاشياء ، قائلين ان العقل في حالة خاصة من حالاته أشبه بحالة الصوفيين (أى بنوع من الكشف والشهود) يرى « الحقيقة » « والقيم » شيئا واحدا . والانجاء الفلسفي الحديث عند هؤلاء أميل الى اعتبار « القيم العليا » عينية أكثر منها معاني نفسية أو عقلية ، ولو أن الفلاسفة يختلفون في تفسير معنى « العينية » التي توصف بها هذه « القيم »

وأما فكرة الالهية الكلاسيكية فضائعة وسط هذا التفكير ضياعا تاما

وهذا الأستاذ كار في كتابه « الأرضية للتنفرد للدين والاخلاق » يدعى أن الرياضيين والطبعيين يبحونهم قد جعلوا من الصمب الزداد عنرا تعيين مكان الله في تنظيم الكون وهندسته أما الأستاذ برنجل هانيسون فقد أشرت الى وقوفه عكس هذا الموقف اذ يدل على وجود الله بمحض احساسنا بفكرة وجوده ، وعندى ان كلاهما مخطيء لان أساس بحثهما في ذلك وهمى على ما سأبينه بعد

وليس شك في أن عدد العلماء الذين يؤمنون بالالهية العرفية الآن أقل من عددهم منذ ربع قرن مضى ، وليس بينهم أحد من نوابغ العلماء المنتسبين للعجيل - - - مثل جولان هيكسلى أو اينشتين ، فان هؤلاء ينظرون الى الالهية نظرة تصورية مثالية تخالف العرف تمام المخالفة كذلك ليس شك في أن أنصار الفلسفة المادية لم يقلوا في هذا القرن عددا من امتاظم في القرن الماضي ، وما رأى هيكل في كتابه « لغز الوجود » الذى عززه بخبر عن ان المادة والطاقة هما واجهتان للعجول لا مقدمة التنبؤ عن الحقائق الطبيعية التي كشفها القرن الحاضر والتي زادت الفلسفة المادية تمكينا وان لم تكن هذه الفلسفة مرتبطة بأية نظرية بالذات

وكثيرون من هؤلاء الماديين يرون ان التفاعلات المكونية لا تشر بوجود الله على الاطلاق

سواء من بداية إيلسدن الى نشوء الكواكب الى بلوغ الانسانية منزلتها الحاضرة الممتلئة بالتناقض والمفاسد كما يعتقد اولئك الماديون.

وقد نفى عن مريز غنم الحركة قيام مثل الاستاذ هفدينج (وهو فيلسوف ديمقراطي متشكك) بالدعوة منذ ربع قرن الى الالهية « بالقيم » بدل « الحقائق » ، وبعبارة أخرى انه يرى الاحتياط بالدين لصفاته الخلفية والعاطفية وبذلك وضع فكرة الله في موضع ثانوي أو طرحها كلية وقد أشرت الى قيام فكرة « المثالية » أو « التصورية » في أمريكا مقام فكرة الله العرفية . وعلى هذا النحو ينسوخ والاستاذ وذر الذي يجهر بأنه يعد اللاهوتية مرادفة لروح الاجتماعي الممثل وهناك طائفة من الفلاسفة المحدثين أمثال الاستاذ امز والاستاذ أوفرستريت ترى أن الله هو صورة ملايين البشر وأنه كائن حي يمثل خير ما في البشرية . وعلى هذا القياس يمكننا بسهولة ان نوافق جوزيف ماسكي على قوله ان نعمة الملائكة من عشرين الها مختلفا للاديان الفلسفية ، كما ان نعمة نظير هذا العدد للاديان الاخرى !

وكما انه لا يخطر في بال أحد الآن في البيئات النفاذة العالية أن يستدل على وجود الله من مجرد وجود النظام أو العدل أو الجمال أو الوجود ، وكذلك لا يحلم أحد بهذا الاستدلال من مجرد الاحساس الديني ، لان العقيدة الدينية مفروسة بحسب البيئة والوراثة وتزيد بها العواطف حرارة وحاسة . كذلك لا نحس البيئات العلمية بالحاجة الى العقيدة الالهية ، وتؤمن بأنه لو أغلقت أما كبري العبادة عشر سنين مثلاً واختفى رجال الدين هذه المدة لما أحس بذلك أحد ، ولتشفأ جيل جديد لا حاجة له بغير القوانين الحكيمة والنظم الاجتماعية المعقدة ، ولا هم له الا نشر العدل والاخاء والسعادة بين الناس ، ولما فكر أبداً في معنى الله بل لاستغرب لهذه الفكرة عندما تعرض عليه . والواقع انه حتى في هذا الجيل تثبت احصائيات الكنائس أن ثلثي من ينسبون الى المسيحية هم صنياع يمدون عنها ولا صلة لهم بأية كنيسة ، ومع هذا لا يمكن مطلقاً لاي جماعة اجتماعية أن ينكر ان الانسانية الحاضرة سامية في أخلاقها وان كانت غير متمسكة بأديانها الموروثة وانما ينصب تمسكها على الاستفادة من تجارب الحياة التي تميزها مصدر الهها الوجيد الجدير بالاحترام

يقول جواز زهوايت في كتابه « ديانة العقل الحر » ان الاداب جزء صميم من قصة النشوء حينما الديانة على العكس منشؤها الخوف . وقد ولدت في بداية التنبذ الذي حينما بدأ الانسان يتجسسي

فالاممى في تيه من الخرافات . وان الخوف من الخافى المجهول هو شعبة جيم الاديان ، فاذا ما طرح الانسان هذا الخوف جانباً فان ذهنه حثاينقى . ومثل هذا الرأى نلجسه عند الاستاذ هالدين في كتابه « الحقيقة والعقيدة » كما ان لالدوس هكسل فصلاً بليفا في كتابه « دراسات لائقه » عن « ابدال الديانات » أشار فيه الى انحطاط الدين في الغرب والى قيام حركات وطنية وسياسية واجتماعية وفنية وغيرها استوعبت اهتمام الناس الى حد كبير أو صغير واقتربت بشئ من الطقوس التى أنفوها في الحركات الدينية فأشبهت مشاعرهم بدرجات مختلفه ، فلا غرابه بمد ذلك اذا اشتد انصراف الناس في الغرب عن الديانات الموروثة وحتى عن العقيدة الالهية في ذاتها

• • •

لقد عرضت المامة عن اتجاه التكبير الحديث في الغرب بشأن عقيدة الالوهية . أما رأى الشخصى في هذا الموضوع فقد اسفلته من قبل وان بصرى في ايجاز ، وقد نشر في رسالة لى بعنوان « مذهبي »

ولما كنت محبب الايمان راصح العقيدة فاني بكل ارتياح لبست الدعوة للاقاضة بهذا الحديث وزيادة البيان عن دخيلة نفسى اراء هذه التيارات المتضاربة

وانى أكر أن الشعور بالالوهية في اعتباري ليس مسألة خوف او جهل على ما يرى بعض المفكرين الغربيين بل هي مسألة فطرية سيكولوجية مبعتها احساس الجزء بالسكل ، وحمل نحن في المعنى التصوفى الا ابناء الله ؟ ولولا هذا الاحساس لما قال الحلاج كلمته المشهورة التى اودت بحياته ، لان بيئته لم تهيمها فأساءت تأويلها وجنت عليه شرحانية

اما عقيدة الالوهية الخاطئة في بعض الاديان فقد تكون ناجمة عن خوف او جهل ، ولكن لاشأن لى بمثل ذلك ، اذا انما اتكلم عن الاحساس الاصيل لاعن التقليد الموروث

ويطيب لى تكرار الاشارة في حديثى ومحاضراتى الفلسفية الدينية الى آية الكرسي المحدودة من جواهر القرآن الشريف ، فان هذه الآية الكريمة في نظرى مفتاح التصوف الاسلامى وباب الالوهية الحق ، ولو ان الاسلام تقليدياً معدود بمزمل عن التصوف . ولكن هذه الآية علونى احساساً بوحدة الوجود ، واعتقاداً تاماً بأن الاسلام لا يفصل بين الله والمالم كما تفعل بعض الاديان ، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يتقشف ويتصوف معزلاً في جبل حراء عابداً لله في ملكوته

فمقدمة الالهية في ضوء الاسلام لاتخالف العلم السليم ولا الاحساس النفساني النقي ، وهي بعيدة كل البعد عن الخوف أو الخرافة أو الجبل لاما تقوم على ركنين أولهما الاحساس الصوفي القطري: احساس الجزء بالكل ، وثانيهما وحدة الوجود التي تنبع عليها آية الصكر صفتظهرها لنا بكل وضوح . ومن الآيات القرآنية التي ينبع منها التصوف قوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله » « سورة البقرة آية ١١٥ » وقوله : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني » « سورة البقرة آية ١٨٦ » وقوله : « الله نور السموات والارض » « سورة النور آية ٣٥ »

فهل لنا نحن المسلمين بعد ذلك اى حاجة بذلك النقاش البزنطى بين المكرين الغربيين الذين تجاهلوا الاعتبارين السابقين وحصر واقع تكريم في نواح بئسها ؟ ثم أليس فيما عرضه بعضهم من تفسير مثاليه ونحوها ما يندمج في الركنين السابقين الذكر ؟

ان تأملاتي ودراساتي الطويلة نجمت عنى اعتقد أنه لا يمكن التخلي في النفس البشرية عن عقيدة لالهية ، وانما من الجائز تحويل هذه العقيدة وقتياً او موقفيها « كما اشار الى ذلك ألدوس هكسلى » تحت تأثير الخبرة او الضغط الاجتماعى او نحوه . ولعل هذا البيان قد اقنعت القارئ ان الإيمان الآلهى لا يتعارض بأى حال وتقيم قوانين الحياة واستلزامها لخير الانسان ، بل أرى ان الاسماء والصفات المنسوبة الى الله سبحانه وتعالى هي في الواقع رموز الى العوامل المختلفة التي اطلقها في هذا الوجود لتكيفه وتنظيمه بين هدم وبناء وتبديل وتحويل على قاعدة الاسباب والنتائج ، وكثير منها رموز لا يجوز ان تفسر . وظاهرة « النبوة » ذاتها خاضعة للحقائق العلمية النفسية كما أوضح اذ ذلك فيلسوف الاسلام الفارابى

ونحن اذ نبهل الى الله سبحانه وتعالى وإذ فعلى يجب أن نعلم أن الله جل شأنه ليس بحاجة الى شيء من ذلك ، فان الزهو صفة آدمية وليس صفة ربانية ، وانما نحن المستفيدون من الابتهال والصلاة لان في ذلك تقوية لمعنوياتنا واشعارنا لنفوسنا بالواجب علينا . وقد تعالى الله عن أن يبدل قوانين الوجود الدقيقة التي سننا لنظامه البديع إكراما لمخاطر أحدنا إذ معنى ذلك اضطراب الوجود بل خرابه ، وانما نتيجة الابتهال والصلاة تقوية أحيائنا وتهذيب مفاهيمنا وشحن تفكيرنا لما فيه الخير والصالح حسب تواميس الوجود لاختلافها . وحتى مانسبه الحظ انما يتبع قانون الاربعية ، وكلما اتسع نطاق الكشف العلمى ازداد ايماننا بصيرة بمعاني الالهية السامية وقوانين الحياة ونظام

الوجود . كما أن الاشراق الصوفي و « لغة الانس بالله » ليس خلفهما سوى التأمل الكوني الصيق وارهاف الاعصاب وتقوية الحدس ولا يمكن ادراك الله سبحانه وتعالى الا بالحدس الصوفي الذي يستند العلم الفلسفي لا بالعلم ولا بالفلسفة وحدهما . وقد يساعد كل أولئك على قراءة الافكار وتقدير العواقب لا على مجرد التنبؤ بالمستقبل والكشف والالهام معها كان التوغل في التأله

كثيرا ما ذكرت في أحاديثي الدينية أن الاسلام يستمد أساسيا على التقوى والعلم ، وإذا كان اخواننا اليهود بالرغم من روحهم المحافظة لم يترددوا في تفسير التوراة تفسيرا علميا ، فما أحرانا نحن بذلك وهذا كتنا يوحى بالتفكير والتأمل في كثير من آياته

وهذا القرآن الشريف في جميع أجزائه يتمشى مع العلم الصحيح لمن أراد أن يفهمه على هذا الوجه من ذوى الالباب ، وان فهمه العامة غالبا فيها آخر بالنسبة لمورثه الدقيقة وذلك على قدر عقولهم . بل كذلك الكتاب المقدس قابل للتفسير العلمى الشامل وقد وفق الى ذلك علماء الغرب اللاهوتيون توفيقا عظيما ، فغير مسموع أن يكون القرآن الشريف دربه صلاحية لهذا التفسير الذى يجب أن يفعل كل شيء من عرفان صفات الله تعالى الى جميع الشؤون الانسانية . والمعرفة الصحيحة تأتي عن طريق البحث العلمى والتدقيق لعلمسة الدين لا عن طريق الاشراق وحده ولو كان صاحبه السهروردي . أقول هذا وأنا أعرف قدر التصوف كما أسلفت

ليس الاحساس بوجود الله دليلا على وجود الله كما يدعى الاستاذ برنجل باتيسون من ناحية المنطق ، كذلك ليس التدليل على أن لكل شيء صانعا ما ينتهي بنا الى اثبات الخالق ، وان توهم ذلك كثيرون من المعلمين في تأليفهم المدرسية الفسدة لاذعان التلاميذ إذ لا بد لهذا المنطق الغريب من أن يؤدي الى سؤال كفرى عن الصانم نفسه ولاقيمة الآن لحجج أهل الظاهر الذين طالما ابتلى بهم وبعبودهم الحكماء والعلماء في سالف المصور

ان صفات الله المكشوفة لنا ليست جميع صفاته تعالى بل لها لا تمتدى صفات العوامل الكونية الضابطة لوجود باعتبار هذا الوجود كائنا دوريا ، ولظواهر الطبيعة جميعها وحققها متمشية مع تلك الصفات أو العوامل . والطريق العلمى المهد لتعريف الالهية هو الطريق السيكلوجى لانه حقيقة واقعة فظريية ليست بأى حال نتيجة الوهم أو الجهل ، وأعنى به احساس الجزء بالكل واجتذابه اليه

الثورة الفرنسية

أسبابها - سلوكها - أغراضها

لقد مضى على الثورة الفرنسية نيف وأربعين ومئة سنة وما زالت ميدانا خصبا للمؤرخين ومادة واسعة للباحثين وأخرجت عنها مئات الكتب والأبحاث . ذلك لأن الثورة الفرنسية حادث عظيم في تاريخ البشرية تسبب من جراءها انهيار عروش الاستبداد وحدث شوكه الملوك والأشراف وتعميم رسالة الثورة المبنية على الحرية والإخاء والمساواة . . . وما صاحب الثورة الفرنسية من تحالف الدول الرجعية على فرنسا الناهضة وتضافرها على خنق الثورة التي اقلقت رجال الاستبداد وما تسبب عن الثورة من قيام نابليون بونابرت وحروبه الشهواء وتكوينه امبراطورية شملت معظم أوروبا وخضوع معظم ملوك أوروبا له والحروب الطويلة التي اشتبك فيها مع أعدائه والصراع المتهلك بينه وبين بريطانيا . ثم ما نتج من انتصار مبادئ الحرية وانتهزام الرجعية بعد أن حاولت القضاء على كابوسها المريع اغنى الحرية . والسباسة التي حرى عليها زعماء الاستبداد من القضاء على الثورات بالتدخل في شئون الدول وأمورها . ولكن الفعل الأخير بين الحرية والرجعية انتهى بسحق الثانية وانتصار الاولى فقامت الجمهوريات محل الملكيات واضطر الحكام ان يمنحوا الشعوب الدستور وان يحترموا ارادة الامة وان يخدموها لا أن يخدموا مصالحهم الخاصة

كل ذلك نتج عن الثورة الفرنسية اعظم حوادث التاريخ بلا مبالغة أو تهوين وقبل الكلام على الثورة الفرنسية وما صاحبها من حوادث وأحداث يجب علينا أن نذكر كلمة مختصرة عن حالة فرنسا قبل الثورة والعوامل والظروف التي أدت الى الثورة

النظام القديم

يطلق على الحالة السياسية والاجتماعية لفرنسا قبل الثورة لفظ « النظام القديم » . ويمتاز المجتمع الفرنسي القديم بعدم المساواة بين السكان وعدم اعتراف الدولة بغير الدين الكاثوليكي دينا رسميا للدولة

١ - الملوكة : ابتدأت الملوكة الفرنسية من القرن العاشر بنظام ديمقراطي لكي تتمكن من حكم الاشراف حتى أصبح نظام الحكم استبداديا وذلك من حكم فرنسوا الاول ثم في عهد لويس الرابع عشر صاحب المجلة المشهورة « أنا الدولة والدولة أنا »

كانت الحكومة مطلقه ليس للشعب رقابة عليها يديرها الملك بالاشتراك مع وزرائه . على أننا يجب أن لانتقل في تقدير سلطة الملك فقد كانت محدودة بالامتيازات المختلفة الكثيرة الممنوحة لطبقات الشعب . زيادة على ذلك كان هناك نوع صغير من البرلمانات غير أن الملوكة وخاصة في أواخر عهد لويس الخامس عشر أخذت في الضعف وأصبح الملك تحت تأثير رجال الحاشية ووجيلات النساء . وكانت نفقات الحاشية طائلة . وكانوا يتمتعون بحق سجن أعدائهم بواسطة أوراق على يياض يعطيها الملك لمن قال الخطوة لديهم من الاشراف فيستطيع أولئك القبض على أعدائهم والقائم في غياب السجون وخاصة سجن الباستيل وكانت تسمى تلك الاوراق *Letres de cachet*

٢ - الامة : كانت الامة الفرنسية مقسمة الى ثلاث طبقات هي : -

١ - الاشراف ٢ - رجال الدين ٣ - الشعب

طبقة الاشراف : ويبلغ عددها حوالي ١٤٠ ألفا وقد تنازلوا للملك عن حقوقهم الاقطاعية في القضاء ولم يبق لديهم من حقوقهم القديمة سوى فرض بعض الضرائب الصغيرة على المزارعين . وكان بعضهم يقيم في الاقاليم في قصورهم وقلاعهم أو في بلاط الملك في مرسى ولم يفرض عليهم من الواجبات سوى الخدمة العسكرية

وكان الاشراف معفون من ضريبة *la Taille* وعدد لا يحصى من الضرائب الاخرى . وقد كان اغناؤهم من الضرائب عبئا ثقيلا على المجتمع الفرنسي ذلك لانهم أصبحوا طالة على بقية الشعب بعد أن كانوا يخدمونه قديما خدمات جليلة من حماية المغيرين من قبائل البرابرة ومن غزوات العرب من الجنوب

وكان الاشراف ذوي كبرياء وعظمة يتفخرون بالدم الازرق ويأثفون من مخالطة باقي الشعب الفرنسي حتى ولو كان من أعظم الاغنياء . فلا زواج ولا مصاهرة بينهم وبين الطبقات الاخرى يحدون في ذلك عارا عظيما . وقصارى القول أنهم كانوا في عزلة عن بقية طبقات الشعب الفرنسي

طبقة رجال الدين : وكان عددهم حوالي ١٣٠ ألفا وينقسمون الى قسمين : القسيس والاساقفة والرهبان وقد كانوا معافين من دفع الضرائب وكان ايرادهم يتكون من دخل الكنائس والمستشفيات

والمدارس . وكانوا يملكون أراضي واسعة من أليم الاقطاع أوقفت على الكنائس والاديرة . وزيادة على ذلك كان رجال الدين يفرضون على الشعب ضريبة اسمها *la dîme* وكانت أعظم موارد دخلهم وكان لرجال الدين محاكم خاصة

طبقة الشعب : ويبلغ عددها ٣٥ مليوناً وكانوا طبقات

١ — الطبقة المتوسطة وهي طبقة غنية متملة تقوم بالقضاء والادارة وإنما حظر عليها الوظائف

العليا في الجيش

٢ — تجار المدن والمال

٣ — المزارعون ومعظمهم من الملاك . ولسكنها لم تكن تتمتع بأى حرية وتدفع الجزء العظيم

من الضرائب وكانت في أواخر حكم لويس الرابع عشر على درجة كبيرة من الفقر والبؤس

القضاء

وكانت الرشوة متفشية بين القضاء والمحاكم متعددة ولم يكن التشريع واحداً كما يأمنا هذه .

فالقسم الشمالى من فرنسا يحاكم بالأنفايد الجرمانية والفهم الجنوبي كان يجري على أحكام القانون الروماني لقره من ايطاليا مهدد ولاستعمار الرومان قريبا هذه الاعحاء . ففى كل مدينة وقرية واقليم كان التنافر ظاهرا بين القضاء . وكانت العقوبات صارمة وحشية وكان التعذيب أهم الوسائل لمجمل المتهمين على الاعتراف

وأخذ الفرنسيون يشعرون بتلك المساوية وبالفن الواقع عليهم فأخذوا ينادون بالإصلاح والحد من سلطة الملك والمساواة في الضرائب وتوحيد التشريع والمحاكم

على أن أحدا لم يدر في خله أن هذه النداءة ستتحول في يوم من الايام الى ثورة عظيمة امتاز حكم لويس الخامس عشر في القرن الثامن عشر بظهور طائفة خطيرة من الادباء والكتاب والفلاسفة عمل بعضهم على بذور الثورة وبهنا منهم أربعة وذلك لعظيم الاثر الخطير الذى نفا عن افكارهم وتأثيرها في الثورة . اولئك الاربعة هم

١ — مونتسكيو ٢ — فولتير ٣ — جان جاك روسو ٤ — ديدرو

مونتسكيو

ولد مونتسكيو سنة ١٦٨٩ وكان نائبا في البرلمان عن مقاطعة جيون

وأهم مؤلفاته الخطابات الفارسية وأسباب عظمة الرومان وأخطاؤهم وروح القوانين . ويمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح

وأهم كتب مونتسكيو هو روح القوانين فقد قسم الدول الى جمهورية وملوكية معتدلة وملوكية استبدادية . وأهم ما عرف عنه هو نظريته في فصل السلطات . ففي كل دولة راقية ثلاث سلطات السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية . نادى مونتسكيو بمبدأ الفصل بين الثلاث السلطات وجعل مبدأ الفصل مانعا من اساءة استعمال السلطة اذا ما تجملت كلها في يد واحدة وما يذكر عن مونتسكيو انه اقترح عقد معاهدة دولية لالغاء الرقيق . وقد توفي سنة ١٧٥٥

فولتير

ولد فولتير سنة ١٦٩٤ وقد كان كاتباً عبقرياً ترك لنا مؤلفات تاريخية منها عصر لويس الرابع عشر ولا هوريا . ولف عدة درامات أهمها زائير وميروب واكثر من ١٢ ألف خطاب وكان عدوا لدودا للكنيسة . قضى جل عمره في محاربتها والسخرية منها وبالرغم من محاربه الكنيسة الكاثوليكية فإنه كان شديد الايمان بالله ولقد قضى فولتير حياته وهو يهدم سلطان التمسب ويشتم على استبداد الحكومة وظلمها . وقضى فولتير أيامه الاخيرة في قرية فرناى بجوار جنيف وتوفي سنة ١٧٧٨

جان جاك روسو

ولد جان جاك روسو سنة ١٧١٢ وأهم مؤلفاته اميل حيث ذكر آراء جديرة بالاحترام في التربية والتعالم . وأما غير مؤلفاته فالمفرد الاجتماعي حيث أعلن فيه نظريته في السيادة « بولد الفرد على اخلاق غاضلة وأن الهيئة الاجتماعية هي التي تصده فهو لا يحتاج في اول الامر أى في العهد العطري لسلطة عامة اذ هو في حالة الطبيعة هادئ البال ولكن لما انتشرت المدنية وظهرت العروق الاجتماعية من فقر وغنى نشب التنابذ والتنافس ورأى الامراء أن لا يخرج من حالة الفوضى سوى الاشتراك عن طريق القصد الاجتماعي فيتنازل الفرد عن حقوقه الشخصية للمجموع بشرط أن يحتفظ بحريته كما كانت من قبل بذلك لتحقيق المساواة بين الجميع »

وقد تسلطت آراء روسو هذه على أفكار رجال الثورة الفرنسية بحيث خرج اعلان حقوق

الانسان مصطبنا بها

وقبل أن نختم هذا الفصل يجب أن نذكر كلمة صغيرة تدافع بها عن الملكية الفرنسية فهما غالى المؤرخون في بيان مساوئ الملكية الفرنسية وهيها فيجب علينا أن نذكر الجهود الهائلة التي قام بها ملوك فرنسا من القرن الثاني عشر الى أواخر أيام لويس الخامس عشر في سبيل توحيد فرنسا بين حروب أوقدوا نيرانها ومصاهرات مع الامراء وزواج مم وريثات المقاطعات الفرنسية وبذلك أصبحت فرنسا مملكة موحدة كلمة ذات سيادة

لويس السادس عشر

في سنة ١٧٧٤ توفي لويس الخامس عشر فتولى عرش فرنسا خليفه لويس السادس عشر في العشرين من عمره وكان متزوجا اميرة نساوية هي ماري انطوانيت بنت اميراطورة النمسا ماري تيريز سنة ١٧٧٠

وابتهجت فرنسا بالملك الشاب فقد كان لويس محبوبا لدى الشعب وكان عادلا طيب القلب نقي الصفات مسيحيا بمعنى الكلمة يميل الى **الاصلاح غير ان الملكة والحاشية كانا اكبر عائق له في الاصلاح** . وكانت وزارته الاولى مكونة من رجال مخضفين مشهورين امتازوا بالمتابعة على العمل والامانة ، فاختص ترحو بالمالية فأصدر عدة قوانين لحماية الزراعة وقضى على الاوبئة وأكثرت من زراعة الحبوب وشجع الصناعة فالتى نقابات العمال التي كانت تمنع العمال من أن يصبحوا أرباب أعمال وأبطل السخرة ضريبة La corvée التي كانت عبثا ثقيلًا وعدمية النفع . واعاد بعض الوزراء تكوين برلمان باريس ومنح الملك البروقستانات حرية العقيدة والعبادة وهزم على الفاء Leintre de Cœchot الذي كان يسمح للملك بسجن رعاياه بدون عاكة

ولكن هذه الاصلاحات الحكيمة سببت تدمير الحاشية فاضطر ترحو الى الاستقالة مما أسف له الملك وقال « لا يوجد سوى السيو ترحو وأنا لربة الشعب »

حرب الاستقلال الامريكية « ١٧٧٨ — ١٧٨٣ »

في سنة ١٧٧٦ ارادت المستعمرات الانجليزية في أمريكا منحها حق الموافقة على الضرائب فرفضت انجلترا . فعزمت المستعمرات على الاستقلال فأعدت مقاطعات امريكا وأعلنت الجمهورية تحت اسم الولايات المتحدة الامريكية وعين أحد كبار الزارعين جورج واشنطن رئيسا للجمهورية وأرسل واشنطنون فرانكلين الى لويس السادس عشر طالباً بموثة فرنسا فأذن الملك الى لايت

وردواكمبو أن يقودا جيشا من التطوعين الفرنسيين لمساعدة الأمريكيين وبعد ذلك تدخلت فرنسا في الحرب مباشرة ونهزم الانجليز . وأخيرا أعلن استقلال أمريكا واعترفت إنجلترا سنة ١٧٨٣ باستقلال الولايات المتحدة بمقتضى معاهدة باريس . وحادت الجيوش الفرنسية الى بلادها تنشر مبادئ الحرية فزادت الرغبة في الإصلاح وفتحت الاذهان لمبادئ الحرية

غير أن النعقات الطائلة التي انضقت في الحلة الأمريكية اضطرت لويس السادس عشر أن يستدعى المالى السويسرى نيكرو . فعزم نيكرو على سد العجز بالقروض وليس بالضرائب فاشهر وأحبه الشعب ولكنه لما رأى خطر طريقة القروض عزم على أن ينهج منهج ترجو ففقد العزم على فرض ضريبة عادلة على جماهير الشعب لافرق بين شريف وفقير . غير أن الحاشية قاومتها أشد مقاومة فاضطر الى الاستقالة سنة ١٧٨١ تاركا وراءه عجزا طائلا ودينا باهظا

ودفع برلمان باريس تقرير الضرائب التي أقرها كالون وريان خلفاء ترجو وصمم على اجتماع ودعوة جمعية طبقات الامة فأعيد نيكرو ثانية الى الوزارة واستدعى جمعية طبقات الامة وبذلك بدأت الثورة الفرنسية بمسألة مالية ومما يدل على العجز الشديد في الميزانية أن الابرادات السنوية كانت ١٦٠ مليون من الفرنكات والمصاريف السنوية نصف مليار فرنك

مجلس طبقات الامة

افتتح مجلس طبقات الامة في فرساي في ٥ مايو سنة ١٧٨٩ وعلى حسب العرف السارى انقسم النواب الى ثلاث طبقات :-

١ - رجال الدين ٢ - الاشراف ٣ - العامة

ويجتمعت نواب كل طبقة في مكان خاص

وقد قدم نواب الشعب من أول الامر عرائض بطلب الإصلاح تحتوي رغبات الشعب في توحيد التشريع وحق الامة في فرض الضرائب والرقابة على المصروفات والغاء ضريبة الرؤوس وحرية الفكر والكتابة

وحصل نواب الشعب على صوتين بدون عناء فبذلك تساوا أمام الاشراف ورجال الدين مجتمعين ولكن التقاليد كانت تقضى بأن كل طبقة تتميز بطبقة واحدة فبذلك يكون صوت العامة الثانى لاقية له . لذلك طلب نواب العامة الاقتراح بالإصغاء . فرفض الاشراف ورجال الدين وصمم

نواب العامة على رأيهم قائلين أنهم يمثلون ٩٦ ٪ من الامة وأعلنوا تكوين الجمعية الاهلية تلقاء ذلك أمر الملك بأقفال قاعة نواب العامة متعللاً باصلاحات ضرورية فيها فتجمع نواب العامة في فناء ملعب يوم في ٢٠ يونيه سنة ١٧٨٩ وأقسموا أمام رئيسهم بايلي أن لا يتفرقوا قبل أن يضعوا دستوراً لفرنسا . وفي اليوم التالي اجتمع معظم رجال الدين مع نواب الشعب وانضموا اليهم وفي ٢٣ يونيه ذهب الملك الى قاعة المجلس وأعلن مطلقاً القرارات المتخذة من النواب واعتبرها غير مشروعة ولكنه وعد بالاصلاح فل تقرض أى ضريبة الا برضاء المجلس وأنه لن يسخر في ايرادات الدولة وعزم على اصلاح الادارة والقضاء واطلاق حرية الصحافة والطباعة وقال ان الحرية الشخصية ستحاط بضمانات عظيمة ثم أمر برفع الجلسة فتذمر النواب ورفضوا الخروج وصاح رئيس التشريعات مذكراً للنواب بأمر الملك فصاح ميرابو بخاتمة « اتنا هنا بارادة الشعب ولن نبرح أما كننا الا على أسنة الرماح »

دهش لويس السادس عشر من عساد النواب وسمح لهم بالبقاء ودعا الاشراف ورجال الدين الى الانضمام مع مجلس النواب فقال الرئيس بايلي « كلت الاسرة » واتخذ مجلس طبقات الامة اسم الجمعية الاهلية المؤسسة في ٩ يولية سنة ١٧٨٩

سقوط الباستيل

وتنفست فرنسا الصعداء لعودة الهدوء ولكن الملك أقال نكر من الوزارة فتجمهر الفوغاء وذاع في باريس أن الحرس الملوكي سوف يحتلها فانتفض الصحافي الفرنسي الشاب كاميل ديمولين هذه الفرصة وألهب بمقالاته التارية صدور الفوغاء فتأروا واستولوا على البنادق والمدافع الموجودة في الانفاليد ثم هاجموا الباستيل في ١٤ يولية فسقط في أيديهم ودكوه بعد أن قتلوا حراسه « والباستيل حصن أثنى في باريس في ١٣٧-١٣٨٢ في أيام شارل العاشر ثم استعمل سجنًا للمسجونين السياسيين » وأراد الملك أن يحمى الثورة فدخل باريس وذهب فوراً الى الجمعية وقبل علم الثورة التفت وألوانه ثلاثة الالبيض رمزا لفرنسا والازرق والاحمر رمزا لباريس . ومن ذلك التاريخ أصبح العلم المثلث علم فرنسا . ووافق الملك على انشاء الحرس الاهلي الباريسي

ليلة ٤ أغسطس

أدى سقوط الباستيل وانحسار الشعب والجيش الى ثورات عنيفة في الاقاليم فهاجم الفوغاء

مكاتب الحكومة وقصور الاشراف وطرودوا جباة الضرائب . وتسلب الزراع ورجال الطبقة المتوسطة . ورأى فريق من الاشراف وعلى رأسهم كونت دارتو المستقبل الخطير المظلم فهاجروا من البلاد . وفي ليلة ٤ أغسطس اقترح الاشراف ورجال الدين التنازل عن جميع امتيازاتهم فاتبهج الشعب

حوادث ٥ و ٦ أغسطس سنة ١٧٨٩

غير أن زعماء العامة وعباب الصحافة أمثال كاميل ديمولين ومارا أخذوا يحرضون الجماهير على الثورة . وحدث أن أصيبت باريس بمجاعة في ٥ أكتوبر سببها نقاد الخبز فتجهم حوالى ٨٠٠٠ امرأة وصرن قاصدات فرساي مقر الاسرة المالكة وتبعهم بعض مئات من الرجال المسلحين وهاجم النساء القصر الملوكى واقتعن أسواره وبالرغم من دفاع الحرس الملوئى والحرس الاهلى الباريسى بقيادة لامايث افتحت النساء ردهات القصر وذبحن من قصدى لهن من الحراس ودخل على الملكة فى مخدعها . واضطر الملك وعائلته أن يرحم الى باريس وقد أحاطت النساء بالعربة الملكية هاتفات صارخات « لن نغوت بمد البوم من الجوع فمئذنا الجبار والخبازة وصبي الخباز » يعين الملك والملكة وولى العهد وانتقلت الجمعية الاهلية الى باريس فأصبحت تحت سيطرة العامة وتدخل الفوغاه فى أعمالها بما كان له أسوأ الأثر فى أعمالها

أعمال الجمعية الاهلية

وكان أهم أعمال الجمعية فى باريس اصدار الدستور المدنى لرجال الدين وقد عارضه الملك أشد معارضة وكان يقضى بانتخاب القس والاساقفة بواسطة مجالس نيابية دون تعيين أو رجوع الى البابا . وطلب من الكهنة أن يقسموا على احترام هذا الدستور . موافق البعض ورفضت الاغلبية وكان هذا نداء تاريخ اضطهاد رجال الدين ثم صادرت الجمعية أملاك الكنيسة وكانت مخصصة لمنفعة الكنائس والتعليم والاحسان والدين فلما مست حاجة الحكومة الى المال عمدت الى مصادرة أملاك الكنيسة فثار رجال الدين وأقتل كثير من الملاحيه والمدارس والمستشفيات

وفى أغسطس سنة ١٧٨٩ أعلنت الجمعية حقوق الانسان والموظفين وتتكون من حوالى عشرين مادة أفتتحت من آراء روسو ونحن نأثى هنا بمجبل لها . فنص فيها على أن الانسان يولد حرا وانه ساوى غيره فى الحقوق وأن الفوارق الاجتماعية لايمكن أن تقوم الا على أساس مصلحة الشعب

وان الامة مصدر السلطات وانه لا يجوز اتهام شخص او القبض عليه او محاكته الا في الاحوال المنصوص عليها في القانون وأطلقت حرية المعتقدات والفكر والدين والصحافة ونص على أن الملكية حق مقدس النخ

هرب الملك

في تلك الاتناء تقرب الملك من ميرابو غير أن الحظ المائر أبي الا ان يموت ميرابو في ٢ ابريل سنة ١٧٩١ فعزم الملك على الفرار الى الخارج . ففي يوم ٢٠ يونيو ١٧٩١ خرج الملك مع أسرته سرا حتى وصلوا الى غارن وهناك اتضح أسرهم وقبض عليهم وأعيدت الاسرة الى باريس وسط مظاهر السخرية . فاضطرت الجمعية ان وقف الملك وعينت عليه حرسا خاصا في التويلري

وبعد ثلاثة أشهر أعيدت للملك حريته وقدمت الجمعية له الدستور الجديد « وسمى فيما بعد بدستور سنة ١٧٩١ » فصدق عليه الملك . وقد نص الدستور على أنه لا يجوز انتخاب أحد أعضاء الجمعية الاهلية عضوا في المجلس الجديد مما أفقد البلاد حنكة مهرة رجال السياسة وجاءت الجمعية الجديدة بشباب ملتهب ناثر ومنعت السلطة التشريعية للملك بالاشتراك مع الجمعية التشريعية . ومنح للملك حق التمتع التوقيفي فله الحق أن يعارض قانونا لا يصدق عليه أربعة سنوات متتالية . والفى الدستور تقسيم فرنسا الادارى القديم فقسمت فرنسا الى ٨٣ مقاطعة متساوية . وقسمت المقاطعة الى مراكز والمراكز الى نادر والبنادر الى قرى . وفي المالية الفى الدستور النظم القديمة وجعل معظم الضرائب عقارية . وعُدل نظام المحاكم والجيش فحُطت الخدمة العسكرية اجبارية . وجعلت المحاكم أقساما فقسمت الى محاكم لصلح ومحاكم مدنية ومحاكم جنائية ومحاكم استئناف ومحكمة للنقض والابرار . وأدخل نظام المحلفين في القضايا الجنائية وجعل مناصب القضاة بالانتخاب

الجمعية التشريعية

قدما فيها سبق أن دستور ١٧٩١ نص على أن الملك يحكم بالاشتراك مع الجمعية التشريعية . ووظيفة هذه الجمعية عمل القوانين . وقد كان معظم أعضاء الجمعية موالين للملك وكان هؤلاء يريدون تطبيق النص الحرقى للدستور . وكان باقى أعضاء الجمعية يتمون الى حزب الجيروندي نسبة الى مقاطعة لاجيروندي التي كان معظم زعماء حزب الجيروندي نوابا عنها وهم جنسونيه وكويديه وبريسو . وكان ذلك الحزب يريد تضيق سلطات الملك

وكان اول أعمال الجمعية مصادرة املاك الاشراف ورجال الدين المهاجرين فاعترض لويس السادس عشر على هذه القوانين مستعجلاً حق التمتع

ولسكن الملك وافق على قرار الجمعية التشريعية باعلان الحرب ضد النمسا التي انتهزت الحوادث لتجزئة فرنسا وابتدت الحرب في غير صالح فرنسا سنة ١٧٩٢

حوادث ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢

فانهز اليماقيه أعداء لويس السادس عشر « هم حزب ثوري سمي كذلك لان اجتماعاته كانت تعقد في دير قديم للرهبان الدومنيكان وكان يطلق على هؤلاء في فرنسا اسم اليماقيه . وما زال هذا المكان موجودا في باريس بالقرب من شارع سانت هوزيه » وحرصوا خوفاً بباريس على الملك . فاتهموه بالخيانة وهاجم الشعب التويلري واجبروا الملك على الموافقة على قوانين المهاجرة وكان ذلك في ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢ . وقد أظهر لويس السادس عشر جرأة شديدة وثباتا أدهش القوماء

في تلك الاثناء كانت الحرب مستمرة وتحالفت بروسيا مع النمسا وهدد الاعداء الحدود ثم جاوزوها فاعلنت الجمعية أن الدولة في خطر ونادت بالتمسبة العامة فلى الجميع شيوعا وشبابا نداء الوطن بحماسة وتدفقت جيوش المتطوعين من كل قرية فرنسية

حوادث ١٠ أغسطس

وأخذت الأمور تتعقد وعوامل الثورة تعمل في سكون واستمر التحريض وعمل اليماقيه على إسقاط الملك وفي ٢٥ يوليه أصدر دوق برزويك قائد الجيوش البروسيه منشورا يهدد باريس بالدمار ان اصاب الملك بسوء . فتكونت حالا في باريس لجنة الثورة وهاجم القوماء قصر التويلري في ١٠ أغسطس ودافع الحرس الملكي عن الملك دفاع الابطال وقتل معظمهم ولجأ الملك مع امرته الى الجمعية التشريعية فوعدت الجمعية الملك بالحماية ولكنها أوقته . وتكون في باريس مؤتمر أهل كان أول أعماله سجن الملك وأمرته في قصر التمل . وكان دانتون يطل جيم هذه الحوادث وانتقل الحكم الى أيدي زعماء الرعاع . وأصبح زعيم حوادث ١٠ أغسطس دانتون وزيرا

للسقاية وجم في يديه جميع السلطات فقبض على الاشراف وامتلاّت بهم السجون . وفي ٢ و ٣ سبتمبر هاجم مارا بمصاصات مسلحة سجون باريس وذبح الاسرى وكلهم من الاشراف وكان أعظم القتلى الامير لامبال صديقه الملك وقطع رأسها ووضعت على ربح وأهديت الى الملكة ١ في تلك الاثناء تقدم الاعداء في أرض فرنسا وسقطت فردون مفتاح باريس فتجمع الفرنسيون في غلى وهاجمت الجيوش البروسية الجيوش الفرنسية فانتصر الجيوش الفرنسي واضطر الاعداء الى التقهقر . وفي الوقت نفسه انتصرت الجيوش الفرنسية على الرين وفي سافوى ونيس وتقهقر الاعداء في جسيم الميادين وانحلت الجمعية التشريعية وحل محلها المؤتمر

المؤتمر سنة ١٧٩٢ - ١٧٩٥

قرر المؤتمر في أول جلسة له انهاء الملكية « ٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٢ » وأعلن الجمهورية في ٢٢ سبتمبر . وكان في المؤتمر ثلاثة أحزاب : في اليمين الجيرونديون يرغبون في حكومة سائمة عادلة ورضح حد للذابيح . وفي الوسط حزب السهل وفي اليسار اليانقة أو الجبلين وزعمائهم دانتون بطل حوادث ١٠ أغسطس ومنظفها ومارا زعيم مذابح سبتمبر وروبيير . وكانوا على استمداد لارتكاب أخط الجرائم في سبيل المحافظة على الثورة ويؤيدون غوغاء باريس

اعدام لويس السادس عشر

أعلن اليانقة رغبتهم في محاكمة لويس السادس عشر أمام المؤتمر فقتل أمامه ودافع عن نفسه كما دافع عنه محاميان دفعا عنه كل التهم التي وجهت اليه وأطلق اليانقة في الحكم عليه بالاعدام وكانت الاغلبية ٥٣ صوتا

وأعدم لويس السادس عشر على المقصلة في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ وقدمت ملكا ومسيحيا بعد أن سامح أعداءه

وابتدأ باعدام لويس السادس عشر عهد الارهاب وعين مارا وروبيير ودانتون زعماء لجنة

الامن العام ونجحت في أيديهم السلطة التنفيذية وأنشئت محكمة للثورة وكانت تقضى بالاعدام لاثنته الاسباب ولأقل التهم
وقد سبب موت لويس السادس عشر ثورة أهلية في غرب فرنسا وفي قنديه وفي إقليم بريطانيا
وسلمت طولون للانجليز ولكن رجال الثورة تمكنوا من اتحاد الثورات بنصف وشدة
كما أن الدول تألبت على فرنسا وتحالفت للقضاء على الثورة . فكوند وليم بت الوزير الانجليزي
الكبير تحالفا مع دول أوروبا ماعدا دغركا وسويسرا وتركيا ضد فرنسا بقيادة انجلترا . وهذا
يخرج عن موضوع الثورة ولكننا نقول ان فرنسا تمكنت من هزيمة أعدائها والدخول في
إيطاليا وخرجت بروسيا واسبانيا من التحالف بمساعدة بال وأعلنت هولندا الجمهورية وأصبحت
حليفة لفرنسا

بين اليقاقة والجيروند

حاول الجيروند وضع حد لأعمال اليقاقة وطارحوا سياساتهم فهاجم اليقاقة الجيروند في المؤتمر
وسجنوم في ٢ يونيو ١٧٩٣ . ثم حوكموا وقضى عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في أكتوبر ١٧٩٣
وقامت شارلوت كورداي انتقاما من اليقاقة فتمكنت من الدخول على مارا وكان يستمع في
منزله فطمنته طمئة نجلاء أمانته على العور . وقبض عليها وأعدمته . وأعدمت لجنة الثورة آلافا
على القصعة من الاشراف ورجال الدين وأفراد الطبقة المتوسطة رجالا ونساء وحتى الاطهال .
وكان أول الصرعى الملكة ماري انطوانيت ومدام اليزابت أخت الملك وفيليب المساواة ابن عم
! ملك والكبائي لافوازييه والشاعر أندريه شتييه

وثارت نانت فانتقم مجلس الثورة من أهلها فأغرق شبابها في نهر الوار . كما ثارت ليون فخرها
فوشيه وكوات بالمذاقم وأعدم آلافا من أهلها . كما ثارت تولوز وغيرها من المدن فقضى على
الثورات بنصف وقسوة . ودمرت الكنائس وبيمت أو خصصت لربة العقل ممثلة في طاهرة

انقسام اليقاقة

وأخيرا انقلبت القطة على أولادها وانقسم اليقاقة الى ثلاثة شيع وعلى رأس كل شيعه روبسيير
وهير وداتون . فتمكن روبسيير من اعدام هير وداتون بمد محاكمتها أمام محكمة الثورة

وأصبح روبسبير شعباً مخيفاً ألغى الديانة المسيحية واستبدل بها ديانة العقل وجعل نفسه كاهناً أعظم وعم الشعب فرنسا جميعها

وأخيراً اتحد أعداء روبسبير وتمكنوا في ٢٧ يولييه ١٧٩٤ من مهاجمة في الجمعية وتمكن أحد الجنود من جرحه . وفي اليوم الثاني أُعدم على المقصلة مع ٢٢ من أنصاره وتمتعت فرنسا الصعداء

حاول بقايا الليعاقبة مع غوغاء العامة من ارجاع عهد الثورة ففضى عليهم نابليون بوناپارت ولأن ضابطاً صغيراً قضاه مبرماً . وألغيت محكمة الثورة والقوانين الاستثنائية . وأقبل المؤرغ في ٢٩ أكتوبر ١٧٩٥ وحلت محله حكومة الديركتوار وكان عصرها من أزمى عصور الحكم الفرنسي وبه أصبحت فرنسا من أعظم دول العالم

نتائج الثورة

يحمد لنا أن نذكر ماحققته الثورة من نتائج

أولاً : عدلت الثورة من نظام المجتمع الفرنسي فمن الناحية السياسية ساوت بين جميع المواطنين فلا فرق بين غنى وفقير ولا فرق بين دين ودين وجملت الاقتراع العام مبدأ أساسياً في الدستور ومن الناحية الاقتصادية أصبح معظم الفلاحين ورجال الطبقة المتوسطة ملاكاً للأراضي الزراعية التي اشتروها بعد مصادرة أملاك الأشراف ورجال الدين . ومن الوجهة التشريعية وحدت جهات التشريع . كما أنشأت حكومة الثورة كثيراً من المتاحف ومدارس الطب والهندسة والمراسد وأدخلت طريقة الميسار المتري وقررت التعليم الإلزامي المجاني

كان مؤتمر الثورة قد أعلن في يوم ٥ أكتوبر سنة ١٧٩٣ رغبته في إزالة كل علامة من علامات النظام القديم « الملكية » وقرر إلغاء نظام التقويم المسيحي الجريجوري واستبدله تقويم الجمهورية . فألغى التقويم الجديد العصر المسيحي وعين يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ ابتداء عصر الحرية ونهاية السنة الأولى للجمهورية وقسمت السنة الجمهورية إلى ١٢ شهراً يحتوي كل شهر ثلاثين يوماً وسميها الشاعر « فابردا جلنتين » أسماء مختلفة :

فندبير شهر الكروم . ريمير شهر الغضاب . فريمير شهر البرد . نيفوس شهر الجليد . بليفوس شهر الأمطار . فنتوس شهر العواصف . جرمينال ازدهار الحبوب . فلورéal شهر الزهور . بريال

شهر المرامي . مسيدور شهر الحصاد . زعيمور شهر الحر . فركتدور شهر الفواكه
وأما الخمسة أيام الباقية (وستة في السنوات الكبيسة) فقد خصصت لراحة . وقسم الشهر الى
ثلاث عشرات سميت أيلما :

برميدى . دبورى . ثريدى . كواريترى . كانتيرى . سكتيدى . ستدي . اوصكندى .
نونيدى . وكادى

وألغيت الاعياد القديمة الدينية واستبدلت اعيادا مدنية . ولكن كان كل ذلك عبثا ولم يمس
تقويم الثورة الا أربع عشرة سنة . وفي أول يناير سنة ١٨٠٦ أعيد التقويم الجريجورى وألغى
تقويم الجمهورية

ديمترى سلامه مبود

ARCHIVE



الميكروبات والأمراض

بقلم الأستاذ رمسيس شحاتة

منذ قرن تقريبا استطاع باستير أن يثبت بالحجة الدامغة التي لا تقبل النقض ولا يأتيها الباطل أبأى وسيلة من الوسائل أن الميكروبات أشياء حقيقية موجودة وأنها فوق ذلك كائنات حية تتكاثر وتتوالد ولها ظاهر نشاطها أوجه متعددة . ومن ذلك اليوم أصبحت الميكروبات هي المركز الذي تركز عليه مختلف الأبحاث الطبية والهور الذي تدور حوله وتنفيد به في كل مالمدينا من وسائل التشخيص أو العلاج . وازدهر علم الميكروبات ووصل إلى درجة من التقدم لم يعرفها من قبله أى علم من العلوم الطبية الأخرى

ونظرا لالحال على هذا التوال ما يقرب من القرن تقريبا ونحن لا نرى في الأمراض الا مظهرها من مظاهر نشاط الميكروبات ولا يمر بنا يوم الا ونكتشف الميكروبات ملامجديدا وتطورت نظرتنا إلى الأمراض بادخال فكرة الميكروبات . عليها تطورا هائلا وتطورت أيضا بمرور الزمن الصورة الذهنية التي كونها عن الميكروبات . فلم يعد الميكروب هو الهك الأخير الذي لا بد لنا أن نلجأ إليه في اكتشاف الميكروبات واثبات وجودها فقد أفلتت بعض هذه الميكروبات من رقابته وإذا بالميكروب سكر بين ضحية وعشاها عاجز عن اسفافنا أو البت في المشكلة بتأ حاصما بعد أن كان المرجح الأخير والحجة السكرى . وذلك لأن العلماء استطاعوا أن يثبتوا ان بين الميكروبات مالا سبيل إلى رؤيته ولو بأقوى الميكروسكوبات . وأعظمها تكبيرا . وبادخال هذه الفكرة الجديدة وجد علماء الميكروبات سبيلا سهلا إلى اسناد جميع الأمراض تقريبا إلى الميكروبات . فاما من مرض في رأيهم الا وله ميكروب خاص فان أسكن رؤية هذا الميكروب بواسطة المجهر كان ذلك هو الدليل القاطع والحجة الدامغة أما ان استعصى الأمر واستحال على المجهر اسفافنا فلا بد من أن يكون الميكروب من ذلك النوع الجديد الذي لا يمكننا أن نراه

وعند ذلك ظهر جليا ان مجال البحث في هذا الموضوع مقسم أقصى اتساع وأن ميدان العمل في هذا الباب لا تحده حدود اذ يكاد أن يكون على ما قدمنا حبر الزاوية فيما يمكن أن نحققه من

نجاح في كل العلوم الطبية طامحة . ولم يعدم هذا الرأي من مناصرين توفروا على دراسة الميكروبات والبحث فيما ازدهرت هذه الدراسة أيما ازدهار وأينعت ثمارها بسرعة البرق . كما أن نتيجتها كانت أعجوبة القرن حقيقة . اد من بين الميكروبات عدد هائل نكاد نعرف عنه الآن كل ما يمكن أن تصل اليه المعرفة البشرية مما دعا بعض العلماء الى القول انه لو استطاع الانسان يوما من الايام أن يخلق المادة الحية « البروتوبلازم الحى » لكان أول ما ينتجه هذا المخلوق الجديد أحد الميكروبات المعروفة لنا دلالة على كثرة ما نعرفه عن هذه الميكروبات . ونحن لا نعرف تركيب هذه الميكروبات بحسب انا نعرف ذلك على وجه التدقيق أيضا كل وظائفها وخواصها ومظاهر نشاطها ولنا زبد الآن أن نتعرض لهذه الوظائف أو الخواص أو مظاهر النشاط جيبها فربما كان ذلك مستحيلا في عجلة كهذه انما نريد أن نشير الى خاصية من بين هذه الخاصيات لا نبالغ اذا قلنا في الواقع انها العمود المعرى للنظرية الميكروبية للأمراض وهى ما نسميه النوعية الميكروبية

النوعية الميكروبية

نقص هذه العبارة الدلالة على الحقيقة الآتية :

لكل مرض ميكروب يسببه وى كل مرة يلاحظ هذا المرض لا بد من أن نجد نجه في جسم المريض الميكروب المناظر له . فاسل مثلا : شىء عن ميكروب يسمى باسيل كوخ نسبة الى مكتشفه وليس من الممكن أن يكون هناك مريض بالسل وليس في جسمه هذا الميكروب هذه القاعدة واضحة جلية ولا أخال القارئ ألا متفق معى على انها استنتاج منطقى مباشر لما قدمنا

وللنوعية الميكروبية أنواع ثلاثة من الشواهد . وهذه هي قدرة الميكروب على الحياة والتوالد في الجسم ثم ما يسببه الميكروب في الجسم من مرض مع ما يصحب هذا المرض أو بغضاً عنه من عوارض ثم ما يتسبب في الجسم من اصابات موضعية معينة . ولنتأمل هذه الشواهد قليلا

أما من حيث قدرة دخول الميكروب وحياته في قواعده في الجسم فهذا دليل لتوحيته لان الميكروبات التى تستطيع المعيشة في الجسم البشرى محدودة العدد فوق أن لكل فئة منها مكانا مختارا في الجسم تستطيع الحياة فيه . وأغلب هذه الميكروبات لا يستطيع أن يعيش في الجسم الا اذا وجد في الجزء المناسب له . مثال ذلك ميكروب التيتانوس وهو ميكروب قوى شديد الاثر

والضرر بالجسم إذا اقتصرت بأنسجة الجهاز العصبي في الجسم ولكنه إذا أصاب أى أنسجة أخرى لا يستطيع أن يحميها الحياة خامدة . مما يوضح لنا جلجا مقدار نوعية الميكروب ونوع القيود التي تثقيدها

أما عن الشاهد الثاني وهو ما يصحب دخول الميكروب من مرض وما ينشأ من ذلك من عوارض ففي استطاعتنا أن نورد الكثير من الأمثلة لايضاحه خذ مثلا الالتهاب الزموي نجد ان مجموعة العوارض التي تلاحظ فيه تكاد تميز هذا المرض عن غيره تميزا قاطعا يكاد يكون السند الوحيد في أغلب الاحيان من معرفة المرض وتشخيصه . وفي الامراض الممدية أمثلة عديدة على ذلك مما دفع بعض علماء الميكروبات الى تقسيم الميكروبات الى طوائف تسبب كل منها ظهور عوارض معينة في الجسم بحيث نستطيع بمجرد ملاحظة هذه العوارض الاستدلال على الميكروب المسبب لها أما الشاهد الثالث الذي يظهر لنا شخصية الميكروب أو نوعيته بعبارة أدق فهو الإصابة العضوية التي يسببها الميكروب ونقصد بالإصابة العضوية ما يسهه الميكروب من تغير في أنسجة الجسم أو ما يكونه فيه من قرح أو ما يشابهها . وأوضح مثل لذلك هو السل ففي استطاعتنا أن نستدل على وجود الميكروب في أى جزء من الجسم بمجرد مشاهدة أنسجة الجسم تحت المجهر وملاحظة ما جد فيها من أشكال وطراً عليها من تغير . فنحن نعرف أن السل يسمى احيانا بمرض الدرن وذلك لانه يسبب في الجزء المصاب به ظهور أجسام لها بناء معين وقببه الدرن ولو نظرت إحدى هذه الدرنات تحت الميكروسكوب لاستطعت أن ترى لها بناء خاصا من السهل الاستدلال عليه في الدرنات الأخرى مما يجمعك تؤكد أنها ناشئة عن السل رغم أنك لا ترى فيها أى أثر لميكروب السل نفسه ورغم أنك لا تعرف من العوارض التي تصحب المرض . ويقدم لنا السفسلى « الزهرى » مثلا آخر باننا نستطيع أن نحزم بوجود الزهرى في جسم ما بمجرد مشاهدة إحدى القرع الناشئة عنه تحت المجهر دون أن نحتاج الى الكشف عن الميكروب المسبب له أو استطلاع العوارض التي يشكو منها المريض

وما جماع هذه الشواهد الثلاث تأيدت النظرية الميكروبية للأمراض ورسخ قدمها رسوخا بعبدا ووضح للبيان أن النوعية الميكروبية حقيقة لا سبيل الى الجدل فيها . فالميكروبات موجودة وليس من سبيل الى انكارها وهي التي تسبب الأمراض مما أمكن اثباته بالدليل العملي القاطع فوق أن لكل منهما شخصية خاصة تظهر في هيئة دخوله الى الجسم وطرق هذا الدخول فوق

ظهورها فيما تسببه الإصابة بالميكروب من عوارض خاصة تكفى في بعض الاحيان لدلالة على دلالة قاطعة لا تقبل الشك . والى ما تقدم فهذه الشخصية تظهر بأقوى مآتها فيما يسببه الميكروب من الاصابات العضوية وقد بينا كيف تكفى وحدها لدلالة على الميكروب المسبب لها

لاشك أن النظرية الميكروبية التي قدمناها لمقاريء مع الأدلة التي تؤيدها واتى جملتنا نسلم بنوعية الميكروبات لوجاهتها وبساطتها وجمالها . ولقد تمكنت من العلوم الطبية وتغلقت فيها الى حد بعيد بحيث أصبح مجرد الشك فيها مدماة للدهشة بل للسخرية ولكن اذا كان قد قدر لهذه النظرية أن تزهو الازهار الذي عرفته وأن تصل الى ما وصلت اليه من قوة ونفوذ فانه أصبح من الصعب جدا أن نضمن لها نفس هذا الازهار أو تلك السطوة الى أمد بعيد بل نقول ان في أرق الابحاث الطبية الحديثة ما يبشر بضمحلل رواها وتقلص سلطانها

ان الشواهد التي قدمناها لتدليل على صحة النوعية الميكروبية ليست رغم ما يكسوها من مسحة الصدق والوجاهة عين الحقيقة هي الامكان أن توجه اليها انتقادات عديدة لانحسب انها تقوى على صدها والصمد لها مد . **ولستعرض فيما يلي** هذه الانتقادات لنستخلص من الانجاء الحديث للسألة وما يمكن أن يؤدي اليه هذا الانجاء من التقدم أو التحول في وسائل العلاج أو التشخيص . فهذا هو في الواقع باب المسألة وغاية الغايات من العلوم الطبية قاطبة

أما الشاهد الاول على نوعية الميكروبات وهو قدرتها على الحياة في الجسم والتوازن فيه ثم اختصاصها بطاقة معينة من الخلايا فأمر لا يميز شخصية الميكروب ولا يؤيد نوعيته وذلك لانه أمكن بالتجربة أن نستحدث أو نستنبت من أشد الميكروبات فتكا بالجسم البشري ميكروبات لا تؤثر فيه الا أثرا قليلا ومن هذائرى أن نوعية الميكروب التي كانت تندعم بقوة فتكها بالجلس البشري على حدة وليس بقية الاجناس الاخرى تنهار من الاساس . ولقد أمكن اثبات التحول المفاجيء لبعض الميكروبات التي لا تصيب الانسان عادة الى ميكروبات فاتكة بالنسبة له والعكس بالعكس مما يوضح لنا بأجلى بيان أن الشاهد الذي كنا نقدمه لتدليل على نوعية الميكروب ليس دليلا سلبيا اما تشوبه الشواهد . والى ما تقدم فن النوعية التي تظهرها بعض الميكروبات في عدم اصابتها المجموعات من الخلايا ليست الا طلاء مريضا لا يتفق والحقيقة في شيء ذلك أن الميكروب الواحد يستطيع أن يصيب اكثر من عضو من أعضائنا محققا في كل حالة مرضا معيننا وقد تنسم شقة الاختلاف بين هذه الامراض على نحو اتساع الاختلاف بين خراج جلدي بسيط ومرض التهاب الرئوى مثلاً

ونحن نرى مما تقدم أن المرض لا يرجع كله إلى الميكروب السبب له إنما يرجع إلى الجسم أيضا وهو يتشكل بالشكل الذي يسمح به هذا الأخير . وسنرى ذلك بوضوح أكثر فيما يلي
أما الشاهد الثاني على نوعية الميكروبات فهو كما ذكرنا مآل تسببه من أعراض مرضية تختلف باختلاف الميكروبات . وهذا الشاهد وإن بدا في أول الأمر حقيقة لا شك فيها لا يثبت أن يفقد كل قوته وأن يتداعى منه قضا إذا تأملناه عن قرب

لا شك أن أعراض مرض التهاب الرئوى أعراض واضحة لاسبيل لنا إلى انكارها أو مهاجمتها فهي في الواقع المحك في تشخيص هذا المرض ولكنه مما لا شك فيه أيضا أن هذا المرض يمكن أن يتسبب عن أنواع مختلفة من الميكروبات لا نجعلها صفة ولا قرابة . فكيف يمكن أن نوفق بين نوعية الميكروبات من حيث العوارض التي تسببها وبين أمر كهذا ؟ وليس هذا هو المرض الوحيد الذي نستطيع الرد به على مزاعم النوعية الميكروبية فهناك أمراض أخرى كثيرة نذكر منها تسمم الدم مثلا وأغلب الحجات المنشرة في البلاد الحارة . كل هذه الحجات تشتبك في ارتفاع حرارتها وما تسبب عنها من طمع وغير ذلك من العوارض . ومعروض أن ميكروباتها مختلفة فهل في ذلك ما يؤيد النوعية الميكروبية ؟

نم مارأي القارئ في حالة تالائي : نعرض ثلاثة للإصابة بالسل بوجودهم باستمرار في وسط موبوء مع عدم توافر وسائل الوقاية واستمر هذا التلانس بالنسبة لهم مع المدة الكافية لتحقيق الإصابة بالسل لحق الأول سلا رئويا من النوع البطيء وحقق التلانس سلا موبوءا وحقق الثالث سلا رئويا حادا لم يمهله إلا أسابيع معدودة . أين هي النوعية الميكروبية في حالة كهذه ؟

إنه من المشاهد المألوفة في الطب أن نرى زوال ميكروب وحلول ميكروب آخر محله مع بقاء العوارض نفسها مما لا يتفق وإدعاء النوعية الميكروبية

أما الشاهد الثالث وكأنه أكبر الشواهد التي تؤيد النوعية الميكروبية فقد ظهر أنه ليس أسعد حظا من سابقه . إن السل يحقق حقيقة الإصابة الدرنية المعروفة بدرجة كثر ولكنه يحقق فوق ذلك عددا هائلا من الإصابات المتبائية . وكذلك الزهري . فإنا لو تأملنا الإصابات المختلفة التي يحققها لم نستطع التمييز بينها وكما هناك من الإصابات التي تكاد تنطبق عليها كل أوصاف إصابات السل ومم كل ليس للسل فيها أثر . والأدهى أننا نستطيع أن نحصل من ميكروب السل على مختلف الإصابات في إصابة السرطان

وهل عرف الطب دليلا على نوعية الميكروبات من التحليل العروق بأهم تفاعل وامرمان

لتفخيص الزهرى وهو الآن محل أخذ ورد ومناقشة فقد تعطينا ميكروبات الملاريا وغيره من الميكروبات نتائج إيجابية
 بخيل إلى أن القارىء قد ضاق ذرعا بنوعية الميكروبات وبخيل إلى أنه بدأ يتساءل كيف أمكن
 أن نتخذ بهذه المسألة طوال الفترة الماضية والحقيقة اننى لا أطعم في دفعه الى هذا الحد وأحب
 أن نقف عند النتيجة الآتية : —

ان كان للميكروبات أثر واضح في الامراض فان هذا الأثر لا يسمح بتأكيدها نوعيتها فوق
 ليس كل شيء في المرض مظهره أ كبر الأثر في ذلك مما يدعونا الى القول ان المرض هو في الواقع
 المعركة لما بين الجسم والميكروب من تناضل وتنازع »

الآن وقد وصلنا الى هذه النتيجة نريد أن نستعرض بعض المسائل المتعلقة بالمسألة رجاء
 استخلاص نتيجة أوفى وأعم رجاء إيضاح المسألة إيضاحاً أكثر

تطور الميكروبات

وأولى هذه المسائل هي مسألة تطور الميكروبات ولعل القارىء يتساءل الآن معترضاً وم
 عسى أن تكون علاقة تطور الميكروبات بنوعيتها وفي الحق أننا لا نستطيع الرد على هذا
 الاعتراض الآن أكثر من أن نقول ان الكلام عن تطور الميكروبات ليس الا تمهيدا
 لاستعراض نظرية جديدة لتفقد أهميتها لنا فيها أهمى وأوسع لحقيقة الامراض

ونقصد بتطور الميكروبات ما اكتشفه الاستاذ رولان وزوجه من جامعة مونيخيه فيما يتعلق
 بشكل الميكروبات . فقد وجد هذان الباحثان أن لكل ميكروب دورة خاصة يتغير في أثناءها
 شكله تغيراً كلياً من الشكل الاعتيادى . ولقد دفع ذلك بعض الباحثين الى دراسة الاشكال
 الممكنة لعدد معين من الميكروبات هو وجد بالتجربة أننا نستطيع أن نغير ميكروب السل من العادى
 وهو أشبه شيء بعصاة صغيرة الى كرات أصغر في الحجم نلقاً من تقطع احدى هذه العصيات
 ونقدمها الى أجزاء لا تلبث أن تتكور وغير ذلك من الاشكال الى أب تصل الى النوع الذى
 لا يرى بالميكروسكوب العادى والذى يمر في مسام المرشح ويسمى فيروس Virus وهو فوق ذلك
 فقد أمكن أن نحصل من ميكروبات معينة على ميكروبات أخرى كيكروب التيفود من ميكروب
 السل مثلاً وذلك بتعديل الوسط الذى نزرع فيه الميكروبات ونحريره . وهذا في الواقع أمر طبيعى
 وان كان كان يبدو في أول الأمر شاذاً ويكفى أن نذكر القارىء بما يسمى في علم الحياة بعملية

التجاسس الذي تلجأ اليها الحيوانات اذا ما تغير الوسط المحيط بها وذلك للاحتفاظ بنوعها من الانقراض والى ذلك فقد أمكن ملاحظة تحول الميكروبات بعضها الى بعض لا من طريق التجاسس بل من

طريق التغير المباشر وهذه خطوة أخرى نحو ازالة الفوارق التي بين الميكروبات

والمهم فيما تقدم هو أن هذا التغير أو التطور المستمر في شكل الميكروب يصحبه تغير في فسيولوجيته أو مظاهر نشاطه وحياته ووظائف أعضائه . وهذا قانون من قوانين الطبيعة العام فإذا كنا نسلم بأن تغير الوسط الخارجي يعقبه تغير في شكل الكائن أمكننا أن نسلم بسهولة أن تغير شكل الكائن لا بد أن يعقبه تغير في مظاهر نشاطه وخواصه الفسيولوجية العامة

ولما كان أثر الميكروب في الامراض راجع الى مظاهر نشاطه وخواصه الفسيولوجية وكانت هذه مقيدة بشكله أمكننا ان نرى أهمية دورة الميكروبات ثم أهمية تحولها من شكل الى شكل وما قد يترتب من ذلك من النتائج

ونحن ندع الآن هذه الابحاث لمعالج في عجلة مائة مسألة أخرى ولكننا نحب أن نلفت نظر القارئ الى أن الابحاث المتقدمة ليست من الابحاث المردية الحديثة انما هي ابحاث اشترك فيها أكثر من باحث وان كنا لم نذكرها رضاء الاختصار وهذه الابحاث قد أصبحت الآن في حدود المأثور في علم الميكروبات وهي على ذلك ليست مجرد بدع أو آراء شخصية

ميكروب السل

لعل أم الاكتشافات التي قام بها العالم الالماني الجليل كوخ هو اكتشاف ميكروب السل ولهذا الميكروب مكان قد في عالم الميكروبات مما لفت أنظار الباحثين اليه . ومن غريب الامر اننا نعرف من هذا الميكروب الشيء الكثير على أننا لا نملك علاجاً نوعياً للمرض الذي يسببه وهو السل . ونحن لانقصد الآن الاطالة بكل ما يمكن معرفته عن هذا الميكروب فذلك أمر لاقل لنا به في عجلة كهذه . انما نريد أن نذكر طرفاً من الحقائق المهمة التي سنستند عليها في ما يلي من المقال أول هذه الحقائق هو أن ميكروب السل ربما كان العامل المشترك الوحيد بين كل البالغين في اضرار الجنس البشري ونقصد بذلك انه لا يوجد على وجه التقريب من البالغين (أي الذين يقرب سنهم من العشرين) من لا يحمل في داخله ميكروبات السل فأنا وأنت وكل البالغين من الناس ذكورا وأناسا تحمل في جزء أو أجزاء من جسدنا بعض ميكروبات السل الحية . ولست أقصد

بذلك ان الناس جميعا مرضى بداء السل قاعدا كهذا لا يخفى بطلانه على أحد . ولكنى أريد أن أقول ان الابحاث الطبية والتحاليل المختلفة التى أجريت على عدد عظيم من الناس أخذوا بطريق الصدفة لعمل احصاء على قد أبدت أن ٩٧ ٪ من البالغين من الناس يحملون فى أجسامهم ميكروبات من ميكروبات السل يمكن التدليل على وجودها واثبات ذلك بطرق مختلفة

لاشك ان القارئ يود من الصميم أن أكون معظما فيما تقدم اعتقادا منه ان المسألة على شئ كثير من الخطورة والواقع غير ذلك فالفرق هائل بين احتواء الجسم على عدد يسير من ميكروبات السل لا تكفى لتحقيق الإصابة به وبين أن يكون الانسان مريضا بهذا المرض . ولعله يخفف قليلا من جزعه لو علم أن هذا الميكروب ليس موجودا غصب فى أجسام كل البالغين بل منتشرا فوق ذلك فى الهواء وهو يدخل أجسامنا ليل نهار مع ماقتنسه من هواء ومايصحب لهذا الهواء من زراب أو غبار ومن السبب أن نلاحظ أن هذا الميكروب اذا دخل فى الجسم تعذر خروجه منه فهذا فى الواقع أحد القوانين الحيوية المهمة فى الطبيعة مما دعا الكثيرين الى الاعتقاد بان وجوده شرط أساسى للحياة . لقد لاحظ الأطباء انه وان كان من السهل اليسور اخراج الميكروبات على اختلاف أنواعها واجلائها جلاء تاما نهائيا عن الجسم فان ميكروب السل يفرده القدرة الخارقة على التطفل والبقاء فى الجسم مهما كانت وسائل مقاومة هذا الاحمر مكانه سكسوفى الزعة فى الاحتلال يبيت جذوره وينشب أظفاره فى حسم العريضة بحيث يستحيل عليها التخلص منه . وليس لهذه العملية قيمة ملحوظة أو أى تأثير فى حياتنا المرضية بما دام ميكروب السل منتشرا على النحو الذى قدمناه وما دمنا نستشفه ليل نهار فان ضلنا بفائه أمر محتوم حتى ولو كان كبقية الميكروبات من السهل اخراجه والتخلص منه ولكن المهم فيما تقدم هو أن نلاحظ أن الجسم يحوى باستمرار فى كل من حالة المرض أو الصحة مقدارا معينا من الميكروبات وهذه الميكروبات وان كانت تحيا فيه حياة خاملة بحيث لا تحقق الإصابة التى تحققها عادة عند ما تكون فى حالة النشاط العادية فانها لاتأخر عن تحقيق ذلك اذا ضعف الجسم وفلت مقاومته أو حصل فيه أى تغيير ذى مال

نظرية جرشة

ونقصد بها نظرية انطون دى ديبه أحد أسانذة مدرسة مونبيلي الطبية وواحد من زعماء المدرسة الحيوية التى سبق الاشارة اليها وقد ذهبت هذه النظرية الى أن الاصل فى كل الامراض واحد وهو ما سماه دى ديبه « ميكروزيغات » أى الخمرة المرضية وهذه الخمرة المرضية موجودة

في كل جسم بل هي حسب نظرية دي ديه أحد مكوناته الأصلية فالجسم يتكون مادة في نظر دي ديه من ميكروزيات طبيعية هي وحدة الحياة وهذه الميكروزيات الطبيعية تتحول في حالة المرض الى ميكروزيات مرضية أي خالٍ مرضية ويلاحظ في هذه النظرية الملاحظات الهامة الآتية :-

«١» يحتوي كل جسم في اعتبار نظرية دي ديه على مصدر مرضه أو هو بعبارة أخرى يخلق هذا المرض

«٢» الأصل في كل الأمراض واحد وهو هذه الخلية المرضية التي لا تختلف عن الوحدة الطبيعية في الحياة الا من حيث حملها وإيجادها المرض وهذا الرأي يتفق والنظرية الميكروبية في اسناد الأمراض الى كائنات حية أو عامل حي له نشاط معين وتختلف عنها في أمرين أولهما توحيد هذا العامل وانكار نوعيته ثم اسناد مصدره الى الجسم نفسه

ونظرية انطون دي ديه هذه نظرية حريثة ولكنها الآن تمتد من مخلفات عصر امتياز بتعمقه في الخيال وربما في الاعتماد على الحقائق المدعومة . وقد عما الزمن عليها وقضت عليها أبحاث باستمر قضاء ظن أنه لها في أن تحدت الشكوك في النوعية الميكروبية وتوات الانتقادات الموجهة ضدها . مما أدى الي وضعا من جديد موضع البحث والمناقشة وما أدى الى تعديلها تعديلًا جوهريًا على النحو الذي يبناء فيما قبل وقد دفع ذلك بعض الباحثين الى تحديد النظر في نظرية دي ديه فقدموا من جديد الاستاذ باجس أستاذ الطب التجريبي بجامعة مونتيليه ك موضوع للدراسة والبحث والجدل في محاضرات متعددة موضعا علاقتها بالابحاث الحديثة في الموضوع وسرى طرفا من ذلك فيما يلي

النظرية الحديثة في الأمراض

دينا فيما تقدم أن النوعية الميكروبية لم تمتد قدرة على مقاومة ماوجه اليها من انتقادات أدت الى اعلانها الى نظريات الدرجة الثانية من حيث الاهمية والقيمة . وقد ظهر عندئذ أنه من الضروري أن تبحث عن نظرية أخرى للأمراض لا تعتمد اعتماد النظرية السابقة على النوعية الميكروبية ولقد ساعدت الابحاث التي ذكرناها في الكلام عن تطور الميكروبات والحقائق التي فصلناها في الكلام عن ميكروب السل الى توجيه الافكار توجيهًا خا يشترك في كثير من مميزاتهم نظرية دي ديه التي أشرنا اليها آنفا

فنحن نميل الآن الى الاعتقاد بان الدور الذى تلعبه الميكروبات فى الامراض ليس الا دورا ثانويا ونعتقد أن مصدرها الاول هو فى الواقع ما يطرأ على الوسط الداخلى فى الجسم أو ما نمر عنه « بالترية » من تغيير . فنحن فلم بوجود ميكروب السل فى كل الاجسام ونرى أنه حسب تحول هذا الميكروب الى أى ميكروب آخر أمر ممكن على نحو ما بينت ذلك ابحاث الاستاذ رولان وزوجته وانه يمكن لذلك ألا يتغير الوسط الذى يعيش فيه هذا الميكروب وهذا التغيير يتم بتغيير تربة الجسم أو الوسط الداخلى به فوق انه يقلل من مناعة الجسم ضد الإصابة بالميكروب النتائج وسواء أكان التحول من طريق التوافق أو عن طريق التغير فان النتيجة واحدة وهى خلق ميكروب جديد فوق نهضة الجسم لاستقباله باقلال مقاومته الطبيعية ضده

هناك ابحاث أخرى تتعلق بعلم المناعة تؤيد ما قدمنا ولم نتمكن عن ذكرها الا خشية الغموض والابهام ورغبة فى الاختصار والتبسيط

ونحن نستنتج مما تقدم نتيجة هامة لها خطرها وهى أن الجسم وما يطرأ عليه من تغيرات هو فى الواقع الاصل فى الامراض وانه لتحقيق هذه الامراض لا يمكن أن توجد الميكروبات اما الوسط الذى يمكن أن تعيش فيه أيضا . وهذا فى الواقع يقلب النظرية المرضية الاولى رأسا على عقب وان كان الفرق بين الطريقتين يبدو فى أول الامر ضئيلا . خصوصا اذا تأملنا ما يتبع النظرية الجديدة من اضطراب فى تقسيم الامراض فواضح أن هذه الامراض يجب أن تقسم أولا من حيث علاقتها بميكروب السل ثم من حيث علاقتها بمقاومة الجسم

العبارة

المرة مما تقدم هى أن الجسم وما يفتاه من تغيرات هما المصدر الاساسى للامراض فان كنا نريد أن نظل أصحاء فعليه اداً أن نعتز بأشد العناية بصحة أجسامنا وقوتها بالطرق الطبيعية وأن نتجنب بكل الوسائل المسكنة اضعافا أو الخط من قوتها وأن نحذر أشد الحذر من انهاك قوانا والضغط لأجسامنا واهمالها فذلك هو باب المرض . علينا أن نضم ذمب أعيننا أن الأمل الوحيد فى فلاحنا ونجاتنا بما قد يصيبنا من الامراض ليس فى الدواء الذى تتعاطاه انما فى قوة أجسامنا وقدرتها على المقاومة

سيكولوجية المعاهدة

للاستاذ سلامه موسى كلمة تحليلية حكيمة قلها منذ بضع سنوات في صدد المفاوضات هي ان المفاوضات قد فشلت الى الآن في إيجاد حل للخلاف بيننا وبين الانجليز لانهم سمو هذا الخلاف « القضية المصرية » وساروا في المفاوضات على هذا الاعتبار ، ولو جرت المفاوضة على « المسألة المصرية » لوجد الحل وحسم الخلاف

ولقد جرت المفاوضة الاخيرة حول « المسألة المصرية » لا « القضية المصرية » أي كانت مفاوضة عملية بعيدة عن الدعايات الحزبية وطنطنة المرافعات ، وساعد على ذلك ائتلاف الاحزاب في مصر واتراكها جميعا في المفاوضة والخطر الايطالي الذي نبه أذهان الانجليز والمصريين. ولهذا كللت المفاوضة بالنجاح

وعلى ضوء هذه النظرية يمكننا أن نفهم المعاهدة ونقدرها ونضعها في وضعها الصحيح . فالمفاوضون المصريون لم يأتوا لنسأ بالاستقلال التام ، ولكنهم لم يفرطوا في شيء من حقوق البلاد . لقد حفظت المعاهدة لمصر كرامتها الوطنية كما ألقت بزمام أمورها بين يديها وفسحت الطريق امامها الى الاستقلال التام ، وهي في الوقت نفسه قد طمأنات الانجليز من مخاوفهم وضمنت لهم كافة مصالحهم . هي معاهدة في صالح الطرفين ، معاهدة لا يرفضها مصري ألا وهو متعنت ولا يرفضها انجليزي ألا وهو متعنت

صلاح الدين كامل

الامتيازات الأجنبية في عهد البطالسة

الامتيازات الأجنبية التي نأمل أن تتخلص منها قريبا — ياذا الله — لم تكن أول امتيازات نالها الأجانب في مصر . بل كان لطوائف منهم مركز خاص وامتيازات شتى في مصر في عهودها السابقة . وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي وغناها المشهور وتعرضها لهجرات وغزوات أجنبية عدة . ولقد تحتم الأفريق والمقدونيون وأهل اسيا الصغرى بامتيازات مختلفة في مصر بعد انتصار الاسكندر الاكبر على دولة الفرس ثم شاركهم فيها الرومان — واليهود إلى حد ما — عقب الفتح الروماني وزوال سلطان البطالسة . ثم جاء العرب ففقدوا على ما كان للروم من امتيازات في مصر وأصبح الجند العربي يكوون طبقة ارسقراطية حاكمة لها السيادة على جميع المصريين ومن بقى معهم من الروم واليهود . ثم انتقلت هذه السيادة لأيدي الترك والشرس . وأخيرا نال الأوروبيون امتيازات شتى في مصر وغيرها من أقطار الشرق الأدنى نتيجة لعظمهم المتواصل على الحكومة العثمانية الضعيفة . ولن يتسع وقتنا لتحديث عن الامتيازات الأجنبية في مصر في كل عصورها هذه بل سنقتصر الكلام على عهد البطالسة حسب



ولم يكن المصريون القدماء يحبون الأجانب أو يميلون إلى الاختلاط بهم وقد شاهد هيرودوتس أن المصريين يحتقرون الأجانب ومنهم الأفريق ويفرقون عن معاشرتهم أو الاتصال بهم . ولكن لم تتمكن المعاقل التي أقامها القراعة على حدود بلادهم من صد الأجانب الزاحفين على مصر . واضطر المصريون أن يشركوا معهم في السكنى على ضفاف النيل جماعات من سكان اسيا وجزر بحر ايجة وكذا من سكان شمال افريقيا والنوبة أيضا

والعوامل التي كانت تدفع هؤلاء الأقوام إلى مصر عوامل طبيعية بحثة مثل حدوث قلاقل جنسية في آسيا فنضط جماعات وسط اسيا على غربها وتقذف ببعض جماعات إلى مصر . أو أن يتكاثر عدد سكان اقليم من هذه الأقاليم القريبة من مصر وتضيق بهم خيرات بلادهم فينزولون أرض القراعة الخصبية . وهذا العامل الأخير هو الذي اتى بالأفريق إلى مصر . فان طبيعة بلاد اليونان الجبلية الفقيرة المحدودة الموارد تلزم بعض سكانها الذين يترايد عددهم أن يهاجروا إلى الخارج . وشجع الاهالي على المخاطرة مهارتهم البحرية وكثرة الجزائر القريبة من شواطئهم وأدت

هذه العوامل إلى انتشار العنصر الاغريق على طول سواحل البحر الاسود والاناضول وإيطاليا والرفير أو جزر البحر الابيض

وجاء الاغريق إلى مصر في عهد الدولة الحديثة ، وقد رحب الفراعنة بهم لأنهم كانوا في ذلك الوقت في أشد الحاجة إلى جنود مرتزقة لمحاربة الحيثيين ثم البابليين فالاشوريين . ففكر وفود الاغريق إلى مصر للعمل في جيوشها أو تجارتها وصناعتها . ولما ظهرت دولة القرس وهددت سلامة مصر وبلاد الاغريق زاد ارباط هذين الشعبين وجمع بينهما العدو المشترك وأصبح لاغنى للمصريين عن حلفائهم الاغريق إذ بدونهم لا يقدرعون على صد غزوات القرس . وتحت تأثير هذه الاحوال السياسية الجديدة أصبح للاغريق نفوذ كبير — لم يكن لهم من قبل — في الحكومة المصرية . وقالوا امتيازات تجارية شتى أهمها انشاء مدينة نوكراتيس في غرب الدلتا وهي عبارة عن مستعمرة اغريقية بحثة من حيث سكانها وحكومتها ونظمتها ولغتها وديانتها . ولم يكن في هذه الامتيازات اعتداء كبير على حقوق المصريين إذ أنها كانت تطبق في بقعة ضيقة محدودة جميع سكانها من الاغريق واتصلهم بالمصريين لا يتعدى المبادلات التجارية . ويجب ألا ننسى أن هذه الامتيازات كانت نافعة للمصريين والاغريق على حد سواء إذ أنها مكنت المصريين من المتاجرة مع الاغريق وغيرهم من شعوب البحر الابيض فزادت موارد الحكومة المصرية . كما انها ساعدت ملك مصر على ايجاد جنود مرتزقة لمحاربة القرس والدفاع عن استقلال البلاد . وقد ساعد هؤلاء الاغريق المصريين في ثوراتهم ضد القرس

لم يتضرر المصريون من الاغريق بسبب هذه الامتيازات بل جاء القصر من اتساع نطاق الامتيازات وخروجها عما وضعت له أى في عهد البطالمة عند ما أصبح الاغريق يحكم البلاد . وذلك بعد انتصار الاسكندر على القرس وفتح مصر عام ٣٣٢ ق. م . ولقد أظهر الاسكندر احتراماً عظيماً نحو آلهة مصر وعظماً على المصريين . فترك أمر حكومتهم في يد حكام منهم ولكنه أقام حاكم مقدونيا ليشراف على هؤلاء الحكام الوطنيين وبجانبه حامية من الجيش المقدوني وغداة وفاة الاسكندر في يوليو سنة ٣٢٣ ق. م . اجتمع قواده في بابل ليقسموا امبراطوريته العظيمة . فكانت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس الذي أسرع بالحصول إلى مقر ولايته ليحكمها باسم خلفاء الاسكندر

لقد اختط بطليموس الأول لنفسه سياسة سار على نهجها كما اتبعها خلفاؤه من بعده في حكمهم لمصر وترى هذه السياسة إلى إنشاء مملكة مستقلة قوية وغنية في مصر يتوارث صولجانها البطالمة وتحقق هذا يتطلب جيوشاً واساطيل قوية لصد هجمات من يحاول الاعتداء على استقلال مصر تحت ستار الاحتفاظ بوحدة امبراطورية الاسكندر . ولامتلاك الملحققات الطبيعية الضرورية للدفاع

عن مصر وأعلى سوريا ويونان . وكذلك تتطلب أن تكون لمصر السيادة البحرية في البحر الأبيض وأن تخضع لها الجزر الواقعة في طريق تجارتها البحرية . وكذلك لابد من استتباب الأمن في داخل البلاد وتنظيم استثمار مواردها الطبيعية وتوافر رهوس الاموال اللازمة لنجاح هذا الاستقلال وهذه التجارة الخارجية الواسعة . حتى تتوافر لدي البطالة الاموال التي تتطلبها نفقات الجيوش والاساطيل الباهظة

حقا إن مصر قد منحت البطالة موقعا جغرافيا يتوسط العالم وتجارة واسعة وتربة خصبة وحيرات كثيرة وتاريخا قديما مجيدا . إلا أنها لم تمنحهم جيوشا من أبنائها تستطيع أن تقف أمام جيوش منافسى البطالة أمثال سيلوكس أو انطيوخس وغيرها من قواد الاسكندر . وكذلك لم يكن البطالة ليأمنوا عواقب استخدام المصريين في الجيش أو في مناصب الحكم العليا وخاصة لأن المصريين كانوا يكرهون البطالة ويعتبرونهم أجنب متعصبين

إذن فالبطالة كانوا في حاجة قصوى إلى الاغريق والمقدونيين لتكوين جيوشهم ونفيده اساطيلهم والاشراف على حكم البلاد واستغلال رهوس الاموال الاغريقية في استثمار موارد مصر الزراعية والصناعية

ولذا رأى البطالة أن يجذبوا إلى مصر أكبر عدد من الاغريق والمقدونيين والاسيويين وذلك بمنحهم امتيازات مغرية لجعلوا اللغة الاغريقية لغة الحكومة وتقاليد البلاط وعاداته إغريقية بحته وحاولوا التوفيق بين الديانة المصرية والديانة الاغريقية . فقاموا عادة جديدة لتالوث مكون من آلهة مصرية واغريقية . أى أنهم أحلوا الحضارة الاغريقية محل الحضارة الفرعونية القديمة . وذلك كي لا يشعر الاغريق في مصر بأهم غرباء

وقضى البطالة على ما كان للاستقرائية المصرية من امتيازات وأقاموا أرستقراطية من المقدونيين والاغريق وأضفوا عليهم امتيازات شتى . فكان المقدونيون يكونون أرستقراطية الجيش والبلاط ولهم حق الموافقة على تنصيب الملك . وكان يفتخب منهم ومن الاغريق كبار موظفي الحكومة والقضاة ورجال الدين وضباط الجيش والاسطول . وكانوا يعفون من السخرة ومن أداء بعض الضرائب . وكان اليهود يتمتعون بحرية العبادة وبدستور وقوانين خاصة بهم يقوم بتطبيقها عليهم رجال منهم ويعفون من السخرة وكذلك كانت حال الفرس والموريين

أما ملايين المصريين فكانوا يعيشون كما عاش أجدادهم مل قبل وكما يعيش أحفادهم الآن يزرعون الأرض ويعملون في الصناعات اليدوية ومحترمون الأجانب ويعيشون غرباء عن بلادهم للاحقوق لهم ولا امتيازات

وكان الاغريق يعيشون في المدن الاغريقية مثل الاسكندرية وقرى القيوم أو في إحياء خاصة بهم في المدن المصرية مثل منفيس وطيبه . وكانوا في هذه أو تلك يتمتعون بنظم وتقاليد بلادهم

فأهم دساتير ومجالس نيابية ديمقراطية على نهج دساتير المدن الأغريقية الحرة . ويتنقون بالأدب الأغريقية ككتابات أفلاطون وغيره . ويتغنون بأناشيد هومر كما أنشئت لهم مسارح ونوادي رياضية ومعابد علمية على نهج الجنازيا المعروفة في بلاد الاغريق

كان البطالسة يعتبرون مصر ضيعة لهم بحق الفتح وحق الملك الالهى ولذا ادعوا ملكية جميع أراضيها الزراعية . وكانوا يوزعونها على الاغريق ليشرعوا على تسخير المصريين في زرعها مقابل أجور ضئيلة ويؤدوا للملك الضرائب المقررة عليها . ولقد اهتم الاغريق ببناء الجسور وشق الطرق فزادت مساحة الأراضي المزروعة كما أدخلوا الى مصر بعض زراعات جديدة من بلادهم كزراعة الكروم والزيتون وأشجار النخلة . ولكن المصريين لم يستفيدوا شيئا من ذلك اذ كان الخير كله حائذا على الاغريق . كذلك اهتم البطالسة بالصناعة واحتكروا عدة صناعات ونظموها تحت اشراف رجال من الاغريق وخاصة صناعات الزيتون والمنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية والخزف والورق والمعادن والاحجار والخمور والصباغة والحلي والعمود . كذلك اهتموا بالطرق التجارية واحتكروا التجارة الخارجية ونظموها تحت اشراف رجال من الاغريق أيضا

وكان البطالسة يمنحون حدودهم **اقطاعات في القيوم بدل الرواتب** . فكان اقطاع الجندى الاغريق عشرة أضعاف اقطاع زميله المصري . اذ كان اقطاع الجندى الاغريق يتراوح بين ٣٠ و ١٠٠ درره (٢٧٥٦ م ٢) بينما كان اقطاع الجندى المصري يتراوح بين ٥ و ٧ دررات . أما الضباط وكلهم من الاغريق فكان يتراوح اقطاع الواحد منهم بين ١٥٤ و ٣٤٢ درره . وكان الجنود الاغريق يتسلحون بالاسلحة الحديثة أما الجنود المصريون فكانوا يتسلحون بالأسلحة العتيقة البالية الغير الصالحة للاستعمال . وكانوا يعبرون كريدف للجنود الاغريق . وكانت مهمتهم مقصورة على خدمة الجنود الاغريق وحمل أمتعتهم ونقل معداتهم . وكذلك كان المصريون يقومون بالتجديف في سفن الاسطول . غير أن الوثائق لم تذكر لنا اسم أى مصرى ترقى حتى صار ضابطا في الجيش أو فى الاسطول . فهذه الوظائف كانت وقفا على الاجانب الذين كان منهم أيضا جميع كبار الموظفين وحكام المديريات والمدن وضباط البوليس كما كانت فى أيديهم مرافق البلاد الاقتصادية فهم الذين يشرفون على المزارع والمصانع والتجارة الخارجية . وكانوا يعاملون انصريين الذين يعملون تحت ادارتهم معاملة قاسية . وتذكر لنا الوثائق أنه كان يكنى أن يعتبر مدير مصنع ما أية ملاحظة أو اشارة صادرة من أحد عمال المصنع جارحة لكرامته فيجبر هذا العامل فى الشوارع ثم يشق علانية دون أي عناه

وكان المصريون يحاكمون أمام قضاة من المصريين بمقتضى القوانين المصرية أما الاغريق فكانوا يحاكمون أمام محاكم اغريقية وتطبق عليهم قوانين بلادهم . . كان هناك أيضا محاكم مختلطة للفصل فى

القضايا التي يكون الخصوم فيها من جنسيات مختلفة . وكان قضاء هذه المحاكم من المصريين والاغريق وتذكر لنا الوثائق أن القضاة الاغريق كانوا يميلون الى الاعتداء على حقوق القضاة المصريين وخاصة بما يتعلق بلغة المحاكمة وكثرت المنازعات بين الطرفين حتى أصدر بطليموس السابع مرسوما قرر فيه أن تكون المحاكمة بنفس اللغة التي تقدم بها عريضة الدعوى

والخلاصة أن سكان مصر الذين كان يبلغ عددهم نحو ثمانية ملايين نسمة كانوا ينقسمون الى طبقتين منفصلتين عن بعضهما تمام الاتصال : طبقة عليا مكونة من الاغريق الذين كانوا يحكمون البلاد والذين كانوا يعتقدون أنهم أهل حضارة دونها الحضارات الأخرى . والذين كانوا يعيشون في أوساط خاصة بهم ويحيون حياتهم التي اعتادوها في بلادهم . وطبقة سفلى مكونة من المصريين الذين كانوا عبيداً للأجنبي والذين احتفظوا بعوائدهم وتقاليدهم وكانت كل طبقة تحترم الأخرى وتكره الاختلاط بها أو التزاوج معها حتى أن بعض المدن الاغريقية وخاصة نوكراتيس حرمت زواج الاغريق بالمصريات

كان المصريون يشعرون بأن كرامتهم سلبت وحيرات بلادهم هبت وأنهم صاروا غرياء في بيوتهم ولكنهم لم يجرأوا على الاحتجاج خوفاً من بطش عدوهم وعدم تقفهم بأنفسهم ولكنهم لم ينسوا مجدهم القديم . فصبروا على بلادهم ينتظرون فرصة مناسبة يطردون الاغريق كما طرد أجدادهم المكسوس من قبل . وقد جاءت هذه الفرصة في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد اذ تمكن انطيوخس ملك بابل أن يهزم جيوش بطليموس الرابع عام ٢١٩ ق . م أمام سلنسيا . ثم استولى على معظم سوريا التي كانت من أملاك مصر وكان ملوك بابل يتطلعون الى امتلاكها من قبل ولكن حالت دون ذلك جيوش مصر . ولقد عمّك الجزع رجال الحكومة في الاسكندرية وخاصة عند ما بلغهم أن انطيوخس قد زحف على مصر ورأوا أن الظروف الحالية تضطرهم إلى تجنب جيش من ٢٠ ألف مصري وكذا بضع كتائب من الفرسان المصريين . وفي ١٧ يونيو عام ٢١٧ ق . م تقابل بطليموس الرابع بجيوشه المصرية مع جيوش انطيوخس عند رفح فسحق الصعراء فانهزم انطيوخس هزيمة منكرة واسترد بالايكوس سوريا أي أن المصريين انتصروا حيث انهزم الاغريق

فوقمة رفع هذه أعادت إلى المصريين تقفهم بأنفسهم وعلموا أن اليوم قد حان للتخلص من رق العبودية فاندلع طيب الثورة في مصر الوسطى والحدلنا وامتد إلى الصعيد بزمامة هرمنيس وغيره ولم تضع الثورة أوزارها إلا عند ماخرب بطليموس العاشر في عام ٨٨ ق . م . مدينة طيبة التي كانت دائماً مهد الثورة ومقل الناشرين

ولقد ضاقت هذه الثورات البطالمة أشد المضايقه لأنها شغلتهن عن محاربة ملوك بابل الذين

تمسكوا في عام ١٩٦ من الامتلاء على جميع أملاك البطالة في سوريا وأسيا الصغرى ثم غزا أنطيوخس في عام ١٦٨ مصر وحاصر الاسكندرية ولم يرجمه من فتحها إلا تدخل روما إلى جانب بطليموس السادس

تحت ضغط هذه الثورات وهذه الأخطار الخارجية رأي البطالة أن يختطوا لأنفسهم سياسة جديدة ، فيصنّون معاملة المصريين ويتفقونهم ويتحببون اليهم ويمنحونهم بعض الامتيازات التي يتمتع الاغريق بها . فعصر الملك يتوج في منفيس عاصمة القراعنة طبة لتتاليد المصرية القديمة وزاد البطالة في أملاك وتقوذ رجال الدين المصريين وكفوا عن منح الاغريق امتيازات جديدة وتعاملوا بالنقود المصرية النحاسية وأحلوا التقويم المصري محل التقويم المقدوني . وأحيوا طبقة المحاربين المصريين وزادوا في مساحة اقطاعاتهم كما أنهم تقصوا مساحة اقطاعات الاغريق ولكن الي أن سقطت دولة البطالة بقي الاغريق يتمتعون باقطاعات أكبر من اقطاعات المصريين . وقلدوا المصريين بعض المناصب الكبرى في الادارة والحيش والتصر كما أنهم مسحوا القضاة الاغريق من الاعتداء على حقوق القضاة المصريين

والخلاصة أن البطالة بعد موقفه رفح تقربوا إلى المصريين ومنحهم بعض الامتيازات التي كانت للاغريق ولكنهم لم يمارسهم ولم تلغ امتيازات الاغريق كلها بل خففت نوعا ما . حتى لا يتضرر المصريون منها



والآن يصح أن تقارن امتيازات الأجانب في عهد البطالة بامتيازاتهم الحالية :
فهما تتقاربان من حيث تاريخهما . فالامتيازات القديمة منحت رسميا عند محالفة المصريين للاغريق ضد القرص والامتيازات الحالية منحت رسميا عقب محالفة السلطان سليمان لفرنسا الأولى ملك فرنسا عام ١٥٣٦ ضد النمسا والامتيازات الأولى كانت في أول الأمر تجارية بمحنة وكذلك كانت الامتيازات الحالية في أول الأمر . ولم يكن فيها أى اعتداء على حقوق رعايا السلطان إذ أن الأجانب كانوا يعيشون في منازل مقببة في المواقي وكانت تعرف بيوتهم هذه بالقنادق ولكن الضرر جاء في الحالتين من التوسع في هذه الامتيازات ونتيجة لزيادة قوة الشعوب صاحبة الامتيازات وكذلك لم تلغ هذه الامتيازات في كلتا الحالتين إلا تحت ضغط الثورات والأخطار الدولية الخارجية . وتختلف الامتيازات القديمة عن الامتيازات الحديثة في تفاصيلها ونظمها وكذلك هناك رجة اختلاف قوى بين الاثنين فالأولى لم تلغ بل خففت أما الامتيازات الحالية فتمتلى جميعا

اوراق الحريف

لميخائيل نعيمة

تناثري تناثري يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر
يا أرغن الليل ويا قيثارة السحرة
يا رمز فكر حائر ورمز روح ثائر
يا ذكر محمد فاير قد حافك الشجر

تناثري . تناثري

تمائقي وغانقي أشباح ما مضى
وزودي أنظارك من طلعة المضا
هبات أن هبات أن يمود ما انقضى
وبعد أن تفارق أنراب عهد سابق
سيرى بقلب خافق في موكب الفضا

تمائقي . تمانقي

سيرى ولا تمانقي لا ينفع العتاب
ولا تلوى النمن والراح والمحاب
فهي اذا خاطبتها لا تحسن الجواب
والدهر ذو العجائب وبعث النوايب
وغانقي الرغائب لا يفهم الخطاب

غامشي ولا تمانقي

عودى الى حضن الثرى وجلدى المهود
وانسى جلالا قد ذوى ما كان لن يمود
كم أزهرت من قبلك وكم ذوت ورود
فلا تخافى ماجرى ولا تلوى القدرا
من قد أضاع جوهرها يلقاه فى الاحود

عودى الى حضن الثرى

الكتابة بالصور

حدث أذاعه الأستاذ اسماعيل
شوقي مصحح « مطبعة مصر » التي
في مساء ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٦ .
وهو الفصل الأول من كتابه « لغة
تاريخ الكتابة والطباعة »

لقد كانت الزراعة أول الأعمال المدنية المعظمى التي ربطت الإنسان بالأرض ، وجعلته يستقر
بعد أن كان رحالة متنقلا ، إذ نتج عن ذلك الاستقرار أن رغب الناس من التنقل وراء شوارد
الرزق ، فنظموا الجهود وأنتجوا رزقا موفورا مضمونا في أوقات محدودة . ولذا كانت وديان الأنهار
مهيطة للمدن الأولى ، وكان وادي النيل مشرقا لأول نور لاح في التاريخ

ولما كان الماء أهم عوامل ذلك الإنتاج المنظم ، فقد عنى المصريون بحفر الجداول التي تستمد
المياه من النيل ، فتسير في وادي حامة وفر الخي . والبركة . وكان هناك زعماء يقدمون
على حفر هذه الجداول ، ويتمهدونها حتى تظل صالحة ، ويحتفرون منها الجديد الذي تطلبه الحاجة
وكان هؤلاء الحكام يتقاضون ضرائب من الحبوب والكتان عن هذه المحاصيل التي كانوا يكتفون
لها الماء . وكان معقولا أن يسجل الفلاح المصري هذه الضرائب التي كان يعتبرها دينا في عنقه ،
يؤديه أو يناله شر الجاه ، حتى يحصر ما دفع ، وحتى لا تأخذه الدفعة الثانية بقتة ، وحتى لا ينزل
به عقاب حيز الماء عنه

والطريقة البدائية لتسجيل المعاني هي الرسم والتصوير ، وهي نفس ما يتبعه الأطفال لو أرادوا
تسجيل معنى من المعاني ، ونفس ما اتبعه الإنسان في طقوسه الدينية . وهكذا بدأ المصري
القديم يخطط على جدران بيته علامات تدل على المكاييل والجرار التي تقاضاها الحاكم منه ، ومعنى
تقاضاها ، ومعنى سيطاب بالدفعة الأخرى . وهذه الجرار أو المكاييل التي بدأ يوسمها ، وهذه
الآلهة التي كان يعبر بها عن الشهور القمرية ، تعتبر نواة للكتابة بالصور . التي مارسها فيما بعد
على صورة أرق والتي لا يزال يمارسها الهنود الحمر في أمريكا

ولم تكن تلك الصور تعبر عن الفاظه بالذات ، ولكنها تعبر عن معان وفقاير . أن يعبر
عنها بأي لفظ أراد . فإذا رأى خمس جرار مرسومة ومهما أربعة أهلة فله أن يقول : « دفعت خمسة

مكايل ونحل الأخرى، بعد أربعة شهور « أو : « تقاضى منى الحاكم خمس جرار وموعد الأخرى بعد أربعة أهلة » إلى غير ذلك من الطرق المختلفة للتعبير عن هذا المعنى الواحد ، دون أن توحده الألفاظ التي تعبر عنه . فكلمة أراد شخص أن يسجل شيئاً لنفسه رمز الرمز الذي يناسبه ، ثم بطول الممارسة وبتكرار تسجيل المعاني ليقراها الآخرون صار هناك رموز متفق عليها تنطق لفظاً واحداً ، أى أنه صار للصورة قيمة لفظية أو صوتية ، أو قل إنها قد صارت تشبه العلامة من علامات النوتة الموسيقية ، أو الصورة الخاصة قد صارت قد تستدعي مخارج صوتية خاصة — حتى تقرأ . ومع أن هذه كانت خطوة عظيمة في طريق تعلم الكتابة ، إلا أن نقصها أنه يجب أن يكون هناك عدد من الرموز يساوي عدد ما في اللغة المكتوبة من كلمات ، وهذه هي الطريقة التي يتبعها الصينيون حتى الآن

ولما لم تكن كل الأشياء سهلة التصوير وكانت من المتعذر تسجيل بعض المعاني بالصور ، فقد صمدوا إلى طريقة تذلل بعض هذه الصعوبة ، ذلك أن الكلمة ذات المعنى الذي يصعب تصويره ، وتنطق في اللفظ مع كلمة أخرى يسهل تسجيل مظاهرها بالتصوير — كانوا يضعون الثانية بدل الأولى ، وينطق القارئ اللفظ ويستري سباق الكلام وامراده على أى المعنيين أراد الكاتب ، لكننا نرى أن مجال التسهيل من هذا السبيل لم يكن متسعاً أيضاً ، فليس كثير من المعاني متفقا في اللفظ مع أشياء مادية يسهل تسجيل صورتها بالرسوم ، وهكذا لم يكن هذا اختصاراً

وتلت ذلك خطوة أخرى ، وهي أن كثيراً من الألفاظ ذات المقطع الواحد ، أو المقاطع الأولى من ألفاظ مركبة من أكثر من مقطع واحد اتخذت رموزها لتسجيل مقاطع من الكلمة دون أن تحتاج الكلمة كلها لرمز ، فقلل ذلك عدد الرموز من عدة آلاف إلى بضع مئات ، إذ أن كلمات أية لغة تتكون من عدد من المقاطع أقل بكثير من عدد الكلمات لأن المقطع الواحد يشترك في كثير من الكلمات ، وكانت هذه هي الطريقة التي ظل يتبعها الآشوريون والبابليون في كتاباتهم المسارية . وبالرغم من أن طريقة الرموز التي تمثل مقاطع صوتية كانت فتحاً عظيماً فإنها كانت لا تزال أداة معقدة لتسجيل المعاني ، ذلك لأن المقاطع مخارج صوتية مشتركة

الحروف الهجائية

أمن المصريون في تحليل المقاطع الصوتية إلى عناصر الصوت الأصلية التي يشكون منها ، وجمالوا لكل عنصر رمزاً ، فقلت الرموز وأصبحت مقصورة على مخارج حروف اللغة ، ولا تنيف هذه في لغة من اللغات على الثلاثين بكثير . ورمزوا لكل مخرج من هذه المخارج أو عنصر من هذه

العناصر في أول الامر بصورة شيء مادي يبدأ أول حروفه بهذا الحرج ، وأخذ التمييزيون عنهم هذه الفكرة ، فكانوا يقرأون حروفهم الهجائية كما لو قرأ نحن حروفنا فنقول : « أرب ، بطة ، تمساح ، ثعبان ، جل . . . » وهكذا صارت عندهم مجموعة من الرموز التي تمثل الاصوات التي تتكون منها لغتهم ، وأمكنهم بذلك أن يعبروا عن المعنويات التي لم يكن ممكنا أن يسجلوا ألفاظها ولما كانت العناصر الصوتية محدودة محصورة متعارف على صورتها وأن تكتب كل الكلمات سواء أكانت مادية أو معنوية ، وإلى هذا النوع من الكتابة أشار أين الحاجب في « الشافية » حيث قال : « الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه ، أي بحروفه التي تتركب منها »

واعتبر قدرة المصري على تسجيل الاصوات هكذا أكبر فتح ذهني وفق له البشر

كتابة قدماء المصريين

شرحنا ما قام به المصريون حتى احترعوا الكتابة ، ولنتكلم الآن عن الادوار التي مرت بها الكتابة عندهم في شيء من الوضوح

استعمل المصريون في أول عهدهم الصور والرموز ذات الدلالة المعنوية وكان يفهم منها المعنى ويعبر عنه القارئ بأى لفظ أراد . ثم وحد اللفظ لكل رمز من الرموز فصارت للرموز قيمة صوتية . ثم رسم الرمز مرادا به لفظه ودون أن يكون للمعناه الاصلية صلة بمعناه الذي يقتضيه سياق الكلام . ثم رمز لمقاطع صوتية بصور ورموز كانت تبلغ بضع مئات . ثم حلت المقاطع الى أربعة وعشرين حرفا كانت كافية لتسجيل لغة المصريين القدماء ، وكانت تمثل الحروف الصحيحة فقط ، إذ لم يكن المصريون يسجلون الحركات كما يفعل الاوربيون الآن . ولم يسجلوا حروف اللين كما فعل في العربية غير انهم سجلوا حروف اللين ، تلى امد المشبع فيما بعد . كما فعل نحن الآن في العربية تماما

وليس معنى ذلك التقسيم انه يمكن وضع حدود دقيقة لكل دور تفصله عن الدور الذي سبقه ولكن الواقع بأن هذه الادوار كانت متداخلة في بعضها حتى إنهم وهم في ذروة اكتشافهم العظيم ، حين استعملوا الحروف الهجائية كانوا يرمزون معها صوراً لها دلالات معنوية ، وليست لها قيمة لفظية

وقد كان المصريون يسجلون كتاباتهم هذه على الحجر . فان الحفارين يمنون بحمل الصور محتفلة بروقتها . غير انهم ابتكروا فيما بعد أداة أسهل تناولا وأكثر تلبية لما تتطلبه السرعة . فصنعوا صبغا أو مدادا يحمل الصمغ النباتي في الماء ثم خلط السناج الذي يملو سطح الاواني المعرضة

فلنار بذلك المحلول الكثيف . وبمنس قصبه مبرية في ذلك الصبغ أمكنهم أن يكتبوا بسهولة . وكانوا يكتبون بهذه المادة على العظم والخشب وقطع الفخار ولكنهم اهتموا فيما بعد لاستعمال البردي كمادة يكتبون عليها

وقد صيرت هذه المواد الكتابة حاجة من محتزمات الحياة اليومية . فبعد أن كان الكهنة وحدهم هم أرباب الكتابة . وتنسب الكتابة إلى الآلهة . صارت عملا يوميا يحتاج إليه كثيرا ويقوم به كثيرون . وقد كاز ، نتيجة ذلك أن العصور أصبحت ترمم في غير العناية الأولى لما كان يستلزمه الطور الجديد من عجلة وسرعة . فتفرع عن الهيروغليفية « النقوش المقدسة » قلم دارج آخر عرف بالهيراطيقى اختصرت فيه العصور . ومعظم أوراق البردي بين أيدينا اليوم مكتوبة بهذا القلم . ثم أمعنوا في السرعة نتيجة لما تطلبت له الأعمال والمدنية من كثرة الكتابة وما يقتضيه ذلك من الاختصار والاختزال . حتى كان عندهم في القرن الثامن قبل الميلاد قلم يسمى بالديموتيقى . إذ أن لفظ « ديمو » يقابل في اليونانية معنى الشعب . وكانت هذه كتابة الشعب

الفينيقيون والآراميون ينشرون الكتابة

إن كانت أرض مصر ترحب بأبنائها وتقرهم بالأقامة فإن طبيعة بلاد الفينيقيين هي التي جعلتهم قوم ثقيل ورحلة . فقلة خيراتها جعلت أهلها لا يطبقون بها كتماناً ، ولما كانت سهلاً ساحلياً ضيقاً يحصره من الجهات الأخرى جبال شاذة يكسو سفوحها غابات الأرز ، لم يفكروا إلا في اتخاذ البحر متنفساً لضيقهم فصنعوا السفن وأجادوا صنعها ونزلوا إلى البحر . وكان البحر مما يليهم يرحب بهم . لأنه لم يكن بالمعيق الذي يحيف حديثي العهد بالملاحة ولم يكن شاقاً إذ كان به كثير من الجزر مما يجعل الملاح المبتدئ يطمئن

نزل الفينيقيون إلى البحر المتوسط بين مدنيات عريقة في القدم وأخرى كانت ناشئة فتية وثالثة كانت تختمر ، وتحتاج كل منها لعناصر من الأخرى . فتحتاج هذه لعناصر النشاط ، وتلك لثراث الأقدمين حتى تبعته نفيطاً فتياً ، والأخرى لتلقيح ومد بأسباب الحياة . فتقتل الفينيقيون بين هذه الأمم يتجرون بخيراتها ويقتبسون منها ما يحتاجون إليه ويعطون منه لتلك الأمم المتطلعة الفتية

ولما كان الفينيقيون تجاراً فقد كانوا أحوج من غيرهم للكتابة ، فأخذوا عن المصريين كتابتهم وحوروها إلى ما تقتضيه عجلة التاجر وضيق وقته ، فأعرونها منذ القرن الثاني عشر قبل المسيح عن كتابة البابليين وألواحهم الطينية وفكرة تسجيل المقاطع وأخذوا يستوردون البردي من مصر ويكتبون عليه بالحبر والقلم

وأخذوا عن المصريين فكرة الحروف الهجائية التي تسجل عناصر الصوت ورمزوا لها باثنين وعشرين حرفاً كانت تكفى لتسجيل لغتهم ومحوها بأشياء تبدأ أسماؤها بهذه الحروف ، ورتبوها على تنابع معين ، فسهل استظهارها ، فكانوا يقولون . « ألف ، بيت ، جل ، واث . . » ويننون « ثور في بيت » جل ، باب » ، ولم يكن في حروفهم ما يسجل الحركات أو حروف اللين

ونقل الفينيقيون فكرة هذه الحروف إلى أمم البحر الأبيض جميعها ، وقد كانت الأغريق المتقدمون حيناً يتجمعون حول سفنهم يظنون الظنون بتلك العلامات السوداء التي كانوا يحدونها بالرقاع الصفراء الباهتة ، ظنوها تعاويذ وسحراً ، لكنهم لم يلبثوا أن تعلموها ، فأخذوا يكتبون بها الكلمات الاغريقية ، وكان ذلك النواة الاولى للحضارة الاغريق التي ظهرت بعد ذلك وبهرت الانظار

وقد لاحظ الاغريق انه لم يكن في الاحرف الفينيقية ما يمثل حروف اللين ولاحظوا أيضاً انه كان في لغة الفينيقيين مخارج لحروف غير موحدة في لغتهم فاستعملوا صورها لتسجيل حروف اللين عندهم وبدأ الاغريق يسجلون برا كبر انتاجهم الذهني على أوانيهم وأوعيتهم ، ولم يلبثوا أن يحلوا آثارهم الادبية التي كانت الاسن لا تزال تضافلها حيلاً عن جيل ، وخلفوا لنا ذلك التراث الهائل الذي كان بعث في أوروبا في عصر النهضة دعماً للدين من جديد

ونقل الفينيقيون إلى أوروبا مع الحروف الهجائية الورق والخبر والقلم ، وعن الاغريق أخذها الرومان وأعطاها الرومان الشعوب الجرمانية فانتشرت وجمت حتى لم يحل دون انتشارها الا مجد الشمال — وهكذا علت مصر الغرب كيف يكتب ومهما أطنبنا فلسنا بموفين هذه الهدية حقها من الاطراء ، فقد أجمع النقات على أنه لم يكن ممكناً بدونها للشعوب التي تتكلم الآرية أن تحرم ما حرزته من تقدم أو رقى أو فلاح ، ادانهم حتى يوم أخذوها لقمة سائغة لم يكن عندهم أى أثر يمد نواة لفكرة الكتابة

وكان الآراميون في مفترق طرق العالم المتمددين في زمنهم . لجعلهم مركزهم هذا تجاراً . فافردوا بمجوب النياقي وجاست قوافلهم بين امم ذلك الحين تحمل أدوات الحضارة التي اكتسبوها من الفينيقيين والمصريين وهى الحروف الهجائية والبردي والخبر والقلم . فعمت آسيا الغربية جميعها وطلعت على المسارية وانتشرت بما على القرات الى بلاد فارس وآسيا الوسطى حيث عبرت حدود الهند وبذلك — لو استثنينا الحروف الصينية — فانه يمكن نسبة كل الحروف الهجائية التي يستعملها العالم الآن الى الحروف التي ابتكرها آباؤنا منذ آلاف السنين

اسماعيل شوقي

مطبعة مصر

على هامش الحياة

لو عاد موسى ، ويوذا ، والمسيح ، وعبد ، ورأوا . ماحل بمبادئهم من التحريف ، وما علق بالقولهم من أدران الهوان ، وما تراكم على جوهرها من ركام التمصب ، والامتهان ، ليكوا جزوا ولتبرأوا من هذه الأديان . ولا تروا أن يولدوا في يوم واحد ليتمتقوا على نشر رسالة واحدة . ولقضوا على الكثير من رؤساء الأديان بالحرق وبئس المصير

• • •

يطلب الرجل الشهرة ، والعلم ، والمال ، والسيادة . ويريد أن يتم قلبه بالمرأة أما المرأة فتطلب عن ذلك كله الرجل وحده . وللرجل تحيا ، ومن أجله تفضل كل شيء

• • •

ثلاث مواقف يتحطم فيها قلب صاحب الأحساس النبيل

أ - يوم يطلع على حياة أخ أو صديق

ب - عندما يميب نيكبة الإيمان

ج - حينما يضطر لمسألة الثام

• • •

مار علينا أن ندعى الرق والمدنية ، والاستقلال . ونحن نشاهد شيخاً واحداً يظهر على وجهه علامات البؤس ومدلة الفقر

• • •

آماننا هي التي تولد لنا مرارة النفس وسوداء الحياة . ومطامعنا هي التي تذللنا وتستعبد نفوسنا . واليأس فيه السعادة ولكنه رمز الفناء

• • •

عند ما يصبح الموظف شاكياً سوء حاله ، فاعلم انه انما يندب حريره التي أضعافها وقبض منها تقوداً . فالحرية أئمن من الحياة ذاتها . . .

• • •

ألا يجب علينا أن نتأمل في مذهب النشوء والارتقاء ونحن نشاهد بشراً يهبون البق في صمادتهم ، والكلاب في تدفئتهم ، والقرود في قلوبهم . . .

* * *

بعض الناس لولا تقوهم ، لأنفت الحياة من أن تضعهم في عداد حميرها ! . . .

* * *

أخفقت البشرية في حل مشاكلها لأنها أخضعت كل شيء لحيوانية المياسة !

* * *

في الثقة جمال الحياة وإن كانت أصل النكبات . واتهام الناس بلا بيئة جريئة وإن كان الظاهر
يعدده من حمن القطن ! . . .

* * *

يحبب الكثيرون الحياة حلماً ، والحب خيالا ويكرهون الحياة حقيقة عارية ويهربون من
الحب إذا أراد أن يربطهم بأمرأة مهما تكن سامية ! . . .

* * *

تستطيع أن تنال عطف كل حمة بشرط أن تظمن شرف ابنتها ! . . .

* * *

إذا تساهلت المرأة بالنيل من شرف زوجها فاعلم أنها لا تتورع أن تبذل نفسها ! . . .

* * *

ويل للحياة العائلية إذا فقدت العطف والتضحية

* * *

في الشيوعية لعنة الحياة ، وفي الدكتاتورية امتنانها ! ..

* * *

لبعض الرجال تنمية الوحش . إذا ابتسمت له المرأة عدها بنياً ، وإذا أعرضت عنه عدها حيواناً
وفي الحالين لا يتورع عن أن يهدم سمعتها !

* * *

أصل الحب غريزة جنسية هذبها الأجيال . وأصل الصداقة مصلحة اجتماعية صقلتها الأيام .
وأصل الرحمة أنانية شخصية رقتها الأديان

* * *

اثنتان أدنى لهما : رجل جاء قبل أوانه . ورجل جاء بعد أوانه ! . . .

* * *

حياة بلا دين ولا مبدأ الانتحار خير منها ! . . .

* * *

ما أشقانا ونحن نتردد بين حقيقة القضية كما تنهها ، وحقيقة القضية كما يريد أن يملها علينا
الناس ولاسيما العامة ! . . .

* * *

تمر بكل انسان أزمة نفسية تدمر منه المليا ان لم يكن سامي الخلق متين اتمية !

* * *

لو قدر لامرأة أن تنق من جامها ، ومن تأثيرها الدائم في الرجال ، وكان لها الحق في اختيار
زوجها . لخربت من الدنيا دون أن تجده ولاثرت أن يكون من ساكني الجنة . أما اذا شكت
في جامها فما أشد قناعتها . فاتها تلقى نفسها في أحضان أول طالب ولو كان أحق من هبتة ! . . .

* * *

اذا عجز الرجل عن ادراك المجد . أراد له لابه . واذا عجزت المرأة عن الحب أرادته لابتها ! .
« عجلون . شرق الاردن »

المزيدي



الشمس التي تموت

الفصل الاول - من كتاب « الكون العجيب »

تأليف الأستاذ جيس جينز

كلنا نعرف أن هناك نجوما لا يمتدي حجم الواحد منها حجم الأرض ولكن أغلب البقية الباقية من هذه النجوم عظيمة الحجم بحيث قد يتسع الواحد منها لمئات الألوف من مثل حجم الأرض ومع ذلك يظل هناك فراغ زائد وفي الفضاء نجوم أكبر من ذلك بكثير فهاك نحمد النجم هائلا من الكبر بحيث يتسع للملايين الملايين من أمثال حجم الأرض وليس للألوف منها فقط . ولا شك أن عدد كل النجوم التي في كل الكون يقرب من عدد دقائق الرمل التي على كل شواطئ بحار العالم بأجمعها . من هذا نرى مقدار صغر مسكننا وشدة تهاة مكاننا في الفضاء مقارنا بمجموع المادة التي يحتويها الكون

ويهم هذا القدر الهائل من النجوم في الفضاء مجتمعا بعمقه في سمات كرققاء في الطريق . على أن الغالبية من بينها تسبح في الكون منفردة معزلة وهي تسبح في كون لا يسمح لها فضاؤه أن تنصور أن نجمين منهما يمكن أن يتقابلوا . إن المدد الأكبر من هذه النجوم يسبح في عزلة تامة

ووحدة منقطعة كسفينة فريدة في محيط قفر . ولو شبنها النجوم بالسفن لكان متوسط بعد كل سفينة عن أقرب السفن لها أكثر من مليون ميل . ومن هنا نرى لماذا يندر أن تتقابل سفينتان في عرض الطريق ومع ذلك نعتقد أنه من منذ ملياري من السنين تقريبا حدث هذا الحادث النادر فتقابل نجم في أثناء سيره الأعمى في الفضاء بالشمس وكما أن الشمس والقمر يسيران باقترابهما وإتمامهما من الأرض أمواج المد والجزر على سطحها فكذلك لا بد أن اقتراب هذا النجم من الشمس قد أوجد في سطحها تمجيدات تشبه حركات الأمواج على سطوح المياه ولكنها تختلف ولا شك اختلافا عظيما عن تلك التجميدات الضعيفة التي يسببها القمر في سطوح مياه محيطاتنا . لا بد أن موجة عنيفة



رسميس شحاته

عبرت سطح الشمس عندئذ حتى أوجدت في آخر الأمر جبلا شاهق العلو. أخذ يتعالى كلما اقترب منه سبب ذلك الانقلاب ألا وهو النجم وقبل أن يبدأ هذا النجم في الابتعاد رويدا رويدا من الشمس كان مقدار جذبها لسطحها كافيا لأن ينصدع هذا الجبل الذي تكسر عندئذ إلى أجزاء تطايرت في الفضاء كما يتطاير الرذاذ من الأمواج. ومن ذلك الحين وهذه الأجزاء تدور حول أبيها الأول وهو الشمس. هذه هي الكواكب السيارة كبرها وصغيرها والتي تمد الأرض واحدة منها إن الشمس وكذلك كل الجرم الأخرى التي تراها في السماء في درجة حرارة عالية بحيث لا يمكن أن تظهر عليها الحياة. ولا شك أن تلك الأجزاء المتطايرة من الشمس كانت كذلك في وقت تطايرها ولكنها بردت شيئا فشيئا حتى أصبحت الآن ليس لها حرارة خاصة في نفسها. إن كل ما فيها من الحرارة هو تقريبا ما تكسبه من أشعة الشمس. هذه بوادي القصة. أما ما يلي منها فلا نعرف عنه شيئا فقد ظهرت الحياة على جزء من هذه الأجزاء أثناء بروده ولنا نعرف كيف كان ذلك ولا متى كان ولا السبب في ظهورها

ولقد بدأت الحياة في أحياء بسيطة كان كل همها التوالد ثم الموت. ولكن من هذه البوادي انبعت تيار حي انتهى بعد أن مر في حالات أخذت في التعمق تدريجيا كأن أوجد مخلوقات ترتكز حياتها على عواطفها وأطعمها على أدواق النسبة وديانها التي احتفظت فيها على أعلى أمانها وأنبئ مقاصدها أننا لا نستطيع أن نؤكد شيئا ولكنه من المحتمل أن تكون الأكتانية قد وصلت إلى الوجود على هذا النحو. أننا وقد هبطنا على هذا الجزء الصغير من حصة رمل نحاول جهدا أن نزيح الستار عن طبيعة الكون الذي يحيط بمسكننا في الفضاء والزمن وعن الغرض والتقصص منه أول إحساس نحسه عندئذ هو شيء يشبه الملع. إن الكون يرعبنا هول مسافته ويطول زمنه السرمدي الذي يجعل تاريخ البشرية كطرفة عين ثم يخفيها بوحدة المطلقة وصغر مسكننا وعدم أهميته المادية بل تفاوته في الفضاء. مسكننا الذي هو جزء من مليون من حصة رمل بين رمال كل الشواطئ الموجودة في العالم. ولكن الكون هنا أكثر لأنه يظهر لنا فوق كل هذا غير آبه أو مكترث لاي حياة كحياتنا. إن العاطفة والغاية والنجاح والدين والتمن كل هذه تظهر غريبة بالنسبة له. وربما وجب علينا أن نقول أنه لا يحمل بين طياته أي حياة أخرى كحياتنا. إن الفضاء خلأ قارس البرودة في أغلب أجزائه بدرجة تجعل كل حي فيه يتجمد. وعلى العكس من ذلك المادة المنتشرة في الفضاء محرقة القيقب بحيث تستحيل عليها الحياة وفوق ذلك أنواع متباينة من الأشعة تخرق الفضاء وتنصب على ما فيه من الأجرام الفلكية ومن بين هذه الأشعة كثير من الأشعة التي لا تلائم الحياة إن لم تكن قادرة على إهلاكها

لقد هبطنا في عالم كهذا ونحن لا نعرف جيدا كيف كان ذلك فانه إن لم يكن بطريق الخطأ ربما كان على الأقل بطريق ما نستطيع أن نسميه عن حق وصدق بالمصادفة. إن استعمال هذه الكلمة

لا يعنى أنه من الغريب أو المدهش أن الأرض كائنة وموجودة الآن إذ لا بد أن يكون هناك المصادقات كهذه وإذا بقي العالم مدة طويلة فن المحتمل أن تتحقق كل المصادقات الغريبة التي نستطيع أن نتصورها في كل وقتها

أظن أنه هكسلى الذى قال على ما اعتقد أننا إذا تركنا ستة قروء تضرب دون أن تسمى على آلات من آلات الكتابة مدة ملايين السنين فأنها لا بد ستكتب بمرور الزمن كل الكتب الموجودة في المتحف البريطاني وأنا إذا تأملنا آخر صفحة كتبها أحد هذه القردة ووجدنا أن ضربه على الآلة قد أنقضى بطريق المصادفة إلى كتابة إحدى مقطوعات شكسبير فانه يحق لنا أن نعتبر هذا الحادث كمصادفة عمرانية . ولكننا إذا راجعنا ملايين الصفحات التي كتبت خلال هذا العدد الوفير من ملايين السنين فأننا نستطيع أن نؤمن النفس قبل البدء في المراجعة على أننا سنجد مقطوعة من مقطوعات شكسبير مكتوبة في إحدى هذه الصفحات وذلك بطريق المصادفة العمياء . والأمر كذلك بالنسبة إلى الأجرام السماوية فأنها ملايين الملايين التي تهيم في الفضاء ملايين ملايين السنين وهذه لا بد أن تلتقي كل أنواع الصدف الممكنة . وهذه الصورة نرى أنها لا بد أن تعطى مع الزمن عددا معيناً من المجموعات الشمسية . ولكن عدد هذه المجموعات كما يسهل فهمه جيداً لا بد وأن يكون ضئيلاً بالنسبة لعدد الأجرام نفسها

وبدورة المجاميع الشمسية نقطة هامة لأن الحياة كما نرى لا يمكن أن توجد إلا على كواكب مثل الأرض . إذ يجب لظهورها شروط فيزيكية مناسبة أهمها أن تكون على درجة حرارة تسمح بأن توجد فيها الأجسام على هيئة سوائل

إن ذلك وم تقسمها مستثناء من ذلك . لأنها حارة جداً وتستطيع بارها كنيان ملتهبة هائلة موزعة في الفضاء تشع حرارة في حوالا تزيد درجة حرارته على أربع درجات فوق الصفر المطلق أى — ٤٨٤ درجة برودة تقريباً حسب مقياس فهرنهايت بل أبعد من ذلك في الفضاء الواسع المعتد بعد طريق المجرة . فعلى بعد من هذه النيران المتقدة نجد ذلك البرد الهائل الذي لا يمكن أن نتصوره إذ يتعدى مئات الدرجات من البرودة على حين أنه على مقربة منها نجد تلك الحرارة الهائلة التي تبلغ آلاف الدرجات والتي تنصهر عندها كل الأجسام الصلبة وتلي فيها كل السوائل

إن الحياة لا تستطيع أن توجد وأن تبقى إلا داخل منطقة ضيقة معتدلة الحرارة تحوطها كل من هذه النيران وتبعد عنها مسافة معينة . وخارج هذه المناطق تموت الأحياء من البرد أما إذا تمدتها مقترنة من النيران فأنها تحترق من الحرارة . إن تقديراً بسيطاً لمجموع هذه المناطق يرينا أنها لا تتعدى جزءاً من مائتين مليار من الفضاء كله . إلى كل ذلك داخل هذه المناطق لا بد أن تكون الحياة

نادرة جدا لأنه من المصادفات القليلة أن تقذف كل شمس كوكبا سيارا كما فعلت شمسا إذاً المحتمل جدا أن يكون للشمس واحدة من بين كل مائة ألف شمس كوكبا يدور حولها في هذه المنطقة المحدودة حيث الحياة ممكنة

لذلك يظهر مستحيلا أن يكون الكون قد صمم في أول الأمر لأن يكون مهدا للحياة . لأنه لو كان كذلك لحق لنا أن نتوقع تناسبا أكثر بين عظم الآلة وضخامتها ثم انتاجها . إن الحياة تظهر في أول الأمر على الأقل كأنها ناتج ثانوي ليس له أى قيمة ونحن الاحياء نظهر كأننا قد حدثنا عن الطريق الأساسى وضللنا السبيل

لسنا نعرف إذا كانت الشروط الفيزيكية المناسبة كافية في حد ذاتها لانتاج الحياة أو لا . وهناك مدرسة معينة تدعى أنه بمجرد برود الأرض تدريجيا . كان طبيعيا بل حتما أن تظهر الحياة عليها وأخرى تدعى أنه بعد أن أوجدت الصدمة الأولى الأرض لُزمت بمصادفة ثانية لظهورها الحياة . إن المكونات المادية الأولية للكائنات الحية هي ذرات كيميائية عادية : كربون كاللذين نحتاجه في هياكل الدخان وايدروجين وأوكسجين كاللذين نحتاجهما في المادة وأزوت كاللذين يكون الجزء الأكبر من الهواء الجوى . وهكذا . وكل هذه الذرات التى يتقيد وجود الحياة بوجودها وجب أن توجد على الأرض وقت نشوئها . كان من الممكن من وقت لآخر أن ترتب بطريق المصادفة مجموعة منها كما هو ترتيبها الآن في الخلية الحية

ففي الواقع ليس من الصعب أن تترتب هذه الذرات على ذلك النحو بعد مرور مدة كافية كما انه من السهل أن تكتسب الأفراد الستة بعد الزمن السكافي مقطوعة من مقطوعات شكسبير . ولكن هل تكون عندئذ هذه الذرات خلية حية ؟ أتكون الخلية الحية إذن عبارة عن مجموعة من الذرات فقط أم مجموعة من الذرات مضاعفا إليها الحياة . أو بعبارة أخرى هل يستطيع كيميائى ماهر أن يخلق الحياة مبتدئا من الذرات اللازمة لذلك كما يخلق الطفل آلة ما من صندوق العايب ثم يجعلها بعد ذلك تسير ؟ إننا نجعل الجواب حتى الآن ولكنه عندما يأتى سيخبرنا عما إذا كان هناك عوامل أخرى مأهولة كمالنا أولا وسيكون له أكبر أثر في تفسيرنا المعنى الحياة ومن الممكن أن يحدث هذا الجواب في الفكر البشرى قوة أقوى وأبعد مدى من الثورة التى أوجدتها مجاميع جاليليو الفلكية أو نظرية داروين الحيوية

إن ما نعرفه جيدا على كل حال هو أن المادة الحية تتكون من ذرات عادية ونحتاج الذرات التى يتكون الجزء الأكبر من المادة الحية منها بميلها إلى التجمع أو التجلط في مجاميع أو في جزيئات كبيرة الحجم بشكل واضح

ان أغلب الذرات ليس لها هذه الخاصة . فذرات الادموجين والاكسوجين مثلا تستطيع أن تتحد فتكون جزيئات الايدروجين (يد ٢ أو يد ٣) أو جزيئات الأكسوجين أو الاوزون (٢١ أو ٣) أو الماء (٢-١) أو ماء الأكسوجين (١-٢-٢) ولكن ليس من بين هذه المركبات كلها مركب يحتوي أكثر من أربع ذرات وازاحة الأوزون لا تغير في الموقف كثيرا فركبات الايدروجين والاكسوجين والازوت تحتوي نسبيا عددا قليلا من الذرات ولكن اضافة الكربون تغير الموقف كلية . فان ذرات الايدروجين والاكسوجين والازوت والكربون خصوصا تتحد لتكون جزيئات بها مئات بل آلاف بل عشرات الالوف من الذرات . والاجسام الحية تتكون رئيسيا من جزيئات كهذه . ومن مدة قرن تقريبا كان من المسلم به أنه لا بد من قوة حيوية لتكون هذه الجزيئات الهائلة وكذلك كل الجزيئات الاخرى التي تدخل في تركيب الجسم الحي ولكن موهبا استطاع عندئذ أن يحضر البول (ك ١ يد ٢ زع) في معمله وبواسطة الطرق الكيميائية العادية . والبول ناتج حيواني صرف . بعد ذلك تحقق تحضير مواد أخرى تدخل في تركيب الجسم الحي . ونحن نقرر الآن الظواهر التي كانوا يمزونها الى تلك « القوة الحيوية » الواحدة بعد الأخرى وذلك بواسطة الطرق العادية للفيزياء والكيمياء . ومع ان المسألة لا تزال بعيدة عن الحل فانه يظهر أن الذي يميز المادة الحية عن المادة الغير الحية ليس هو وجود « القوة الحيوية » اما وجود ذلك العنصر العادي البسيط وهو الكربون متحدا دائما بذرات أخرى ومكونا بذلك جزيئات كبيرة الحجم بشكل غريب

اذا كان الامر كذلك فالحياة ليست موجودة في الكون الا لان ذرة الكربون لها بعض الخواص الغريبة . واهمية الكربون من الوجهة الكيميائية تنحصر في أنه يكون الحد الفاصل بين القفزات واللافزات . والكربون على هذا الاعتبار لا يربنا في تكوين ذرته الفيزيكي ما نقرر قدرته الخاصة على ربط الذرات ببعضها . ولكن لو تأملنا قليلا نرى ان ذرة الكربون من ناحية أخرى ستكون من ستة الكترونات تدور حول نواة مركزية كستة كواكب سيارة تدور حول شمس في الوسط لا تختلف من ذرات اقرب المواد اليه في الترتيب الكيميائي وهي البور والازوت الا في أن بها الكترون أكثر من الاول والكترون أقل من الثاني . ان هذا الفرق على ضآلته يجب أن يفسر عند آخر تحليل الفرق بين الحياة وغياب الحياة . وما لا شك فيه ان السبب في أن الذرة التي لها ستة الكترونات لها كل هذه الخواص العجيبة يرجع مصدره الى قانون أولى من قوانين الطبيعة لم تستطع الفيزياء الرياضية ازاحة الستار عنه بعد

إن الكيمياء تعطينا حالات أخرى مشابهة لهذه . فظاهرة المغناطيسية الدائمة تظهر بدرجة

واضحة في الحديد ويدرجة أقل في النيكل والكوبلت . وذرات هذه العناصر فيها على التوالي ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ الكترون . أما الخواص المغناطيسية هل الذرات الأخرى مما يمكن إهماله بالنسبة لهذه . وليس هناك سبب ظاهر لذلك ان التمييز الواضح لم توضح بعد هذه المسألة وهي ان المغناطيسية تعتمد وتتوقف على الخواص الغريبة التي للذرات التي بها ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ الكترون وخصوصا الأولى من بينها . ويقدم لنا النشاط الضوئي مثالا ثالثا من الذرات التي لها من ٨٣ إلى ٩٣ الكترون . وهنا أيضا لم يجعل الأمر بعد

ان الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تعلمنا إياه الكيمياء كما نرى هو انه يجب أن نضع الحياة والمغناطيسية النشاط الضوئي في فصيلة واحدة . ان الكون مكون ومركب بحيث يسير حسب قوانين معينة . وحسب هذه القوانين نرى ان الذرات التي لها عدد من الالكترونات سواء كان ٦ أو من ٢٦ إلى ٢٨ أو من ٨٣ إلى ٩٣ لها خواص معينة تظهر لنا على التوالي في الحياة أو المغناطيسية أو النشاط الضوئي . ولو كان هناك خالق قادر على كل شيء لا يقيد أي قيد لما كان مضطرا إلى الاقتصار على القوانين التي يسير الكون الحالي . ولاستطاع تركيب كون يتفق رأي من مجاميع القوانين الأخرى الممكنة وهي متناهية العدد وفي هذه الحالة أي لو أن مجموعة أخرى من القوانين وقع عليها الاختيار لكان هناك ذرات أخرى خاصة لها خواص أخرى عجيبة مرتبطة بتركيبها ونحوه لا نستطيع أن نقول أي خواص كانت تكون هذه الخواص ولكنه يظهر بعد الاحتمال أن تكون المغناطيسية أو النشاط الضوئي أو الحياة من بينها . ان الكيمياء توحى اليها ان الحياة كالمغناطيسية والنشاط الضوئي وقد لا تكون موجودة كنتيجة عرضية لمجموعة القوانين الخاصة التي تسير الكون الحالي

صحيح ان كلمة عرضية عرضة للنقد والمناقشة لأنه لماذا لا يكون خالق الكون قد اختار هذه المجموعة الخاصة من القوانين لأنها تمهد لظهور الحياة ؟ ولماذا لا تكون هذه هي الطريقة التي لجأ إليها الخالق لاييجاد الحياة ؟ وما دمتنا نعتبر الخالق كائنات كالإنسان له عواطف ومصالح كالتي لنا فالتا لا نستطيع أن نرد على هذا الاعتراض الا بأن نقول : انه بمجرد قبولنا لفرص كهذه فليس هناك جديد يمكن أن نضيفه المناقشة إلى ما قد قبلناه ولكننا اذا أبعدنا عن عقول كل أثر لبشرية الخالق فانه لا يبقى لنا أي سبب أو داع لأن نقرض ان القوانين الحالية قد اختيرت خصيصا لظهور الحياة أو لانها تمهد لها . بل يصبح من المعقول جدا أو نقرض انها اختيرت مثلا لظهور المغناطيسية أو النشاط الضوئي وذلك أكثر احتمالا خصوصا وان التمييز تابع في الطبيعة دورا أكبر بكثير ما تلعبه البيولوجية . وادنا تأملنا المسألة من الوجهة المادية البحتة نرى أن ندورة الحياة وقلة قيمتها

وتفاهتها تهدم من الاساس الرأى القائل بأنها كانت محط عناية مهندس الكون الاعظم ان مثلاً ما لو قد يجعلنا نفهم الموقف فهما أحسن . وان بحاراً عديم الخيال متعوداً ربط العقد وحملها قد يظن الى أنه من المستحيل أن يعبر المحيط لو استحال عليه ربط هذه العقد . وبما ان عقد جبل ليس ممكناً الا في فضاء ثلاثى المقاييس فليس من الممكن تحقيق أى عقدة في فضاء أحادى أو ثنائى أو رباعى أو خماسى أو مكون من أى عدد آخر من المقاييس . ومن هذا قد يستنتج صاحبنا البحار عديم التعود أن خالفاً محسناً قد وضع البحار تحت حمايته الخاصة ورعايته الساحرة . وأن هذا الخالق قد أراد ان يكون الفضاء ثلاثى المقاييس حتى يصحح من الممكن عقد العقد ومن ثم عبر المحيط أو في كلمة واحدة قد أراد ان يكون الفضاء ثلاثى اية ييس حتى يمكن ان يكون هنا بحارون

وواضح ان لهذا المثل نفس قيمة التدليل الذى سقاه من قبل فالحياة في مجموعها وكذلك عقد العقد لهما تقريباً نفس الاهمية اذ أن كلاهما ليس الا جزءاً يمكن امله من النشاط الكلى في الكون المادى

على هذا النحو اذا جئنا الى الوجود . (وذلك حسب فروض العلم الخيالية) فلشئ ما تزداد دهشتنا عما كنا ننتقل من مشكلة أصلها الى مشكلة القصد والغاية في وجودنا وكذلك اذا حاولنا ان أن نكتشف ما يجتنبه القدر لجعلنا

ان الحياة كما نعرفها لا يمكن أن توجد إلا اذا توافرت لها حالات مناسبة من الضوء والحرارة ونحن أنفسنا لسنا موجودين الى الآن الا لأن الارض تتسلم من الشمس الكمية المطلوبة بالضبط من الاشعاع . واداً اختلف هذا التوازن إن نقصاً وإن زيادة فإن الحياة يجب أن تختفي عندئذ من على الارض . والمهم في الأمر أن هذا التوازن من السهل جداً الاخلال به وقطعه

ان الانسان البدائى الذى عاش في المنطقة المعتدلة من الكرة الأرضية لابد قد علم رؤية العهد الجليدى يهبط على مساكنه فكل عام كانت فعل النلاجات في الوادى الى نقطة أبعد مما وصلت اليه في العام الذي قبله وفي كل شتاء كانت الشمس تظهر أقل قدرة على أن تمدد بالحرارة التي تتطلبها الحياة وبالنسبة له كما هو الحال بالنسبة لنا كان الكون مطارداً ومعادياً للحياة . ونحن الذين نعيش الآن في تلك المنطقة المعتدلة التي تحيط بالشمس والذين نحاول جهداً لأن نخترق حجب المستقبل البعيد نرى أن خطر عصر جليدي من طبيعة أخرى يهددنا . فكما حكم على نائلا ، لو أنه كان واقفاً في حوض ماء لو زاد قابلاً لكان كافياً لافراقه وأن يموت عطشاً كذلك مصير جعلنا الحزن وهو أن نحتمل أن تموت برداً مع أن الجزء الأكبر من المادة التي في الكون مستظل بحركة بحيث

لاستطيع الحياة ان تنشأ عليها . فالشمس وليس لها منابع خارجية لحرارة شتت بالضرورة كمية أقل فأقل من أشعتها التي تولد الحياة وبذلك يجب أن تتناقض المنطقة المعتدلة حيث يمكن للحياة أن توجد مقتربة شيئاً فشيئاً حول الشمس وحتى يمكن أن أتمتع الحياة يجب ان تقترب الارض رويداً من هذه الشمس التي تموت ولكن العلم يخبرنا أن قوانين الديناميكا بدلاً من أن تقرب الارض من الشمس تبعدها عنها وتطاردها نحو الصقيع والظلمة الخارجية وعلى قدر ما نستطيع أن نرى ستظل هذه القوانين تعمل حتى يقتل البرد الحياة على الارض الا اذا حصل اصطدام أو انقلاب مما أدى ينهي الحياة بأسرع من ذلك . ان هذا المصير الممزن ليس محفوفاً لأرضنا فقط فهناك شموس أخرى ستتموت كشمسنا وعلى ذلك فالحياة التي يمكن أن تكون على كواكب سياره أخرى ستلقى نفس النهاية الممزنة

ان الفيزياء تعلمنا نفس ما يعلمنا الفلك . لأن المبدأ العام المعروف باسم القانون الثاني للديناميكا الحرارية يعلمنا مستقلاً من كل الاعتبارات الفلسفية أنه لا يمكن أن يكون للكون الانهاية واحدة وهي « الموت الحراري » حين تصبح كل الطاقة التي في الكون موزعة بالتساوي وحين تصبح كل المواد التي في الكون في درجة حرارة واحدة وهذه الدرجة ستكون واطئة جداً بحيث تصبح كل حياة مستحيلة وليس ذا أهمية أن نعرف بأي طريق سنصل الى هذه النتيجة النهائية فكل الطرق تؤدي الى روما ونهاية الرحلة لا يمكن أن تكون غير الموت للجميع

أفي هذا كل القصد من الحياة وكل ماتعنيه ؟ ان نوجد كما لو كان ذلك اثر غلطة في كون من الواضح أنه لم يرتب خصيصاً للحياة بل تدل كل الظواهر على أنه غير حاجيء بل معاد ومطاردها . ثم ان نظل معلقين على قطعة من حبة رمل حتى يجليها عنها صقيع الموت وأن نتبخر لحظة قصيرة على مسرحنا الصغير ونحن نعرف جيداً أن كل أمانينا موكولة الى فشل نهائي وأن كل ما عملناه يجب أن يهلك معنا تاركين الكون كما لو لم يوجد فيه أبداً

ان الفلك يضع السؤال ولكنني أعتقد أنه يجب أن نطلب الجواب من الفيزياء . لأن الفلك يستطيع أن يعلمنا الترتيب الحالي للكون ، هول التضاء وفراغه ثم ضالة المحل الذي نشغل فيه وهو يستطيع أن يقول لنا شيئاً عن طبيعة التغيرات التي تحدث فيه على مر الزمن ولكن يجب أن نتأمل في طبائع الأشياء الأساسية قبل أن نستطيع أن نؤمل جواباً لسؤالنا . وهذا ليس في حدود الفلك بل سنرى أن البحث يقودنا مباشرة الى قلب الفيزياء الحديثة

مسير النظم المدرسية الحاضرة

بعد تنفيذ المعاهدة

(نس الحاضرة التي ألقاها الدكتور أمير

بشتر بقاعة يورث التذكارية بالجامعة الامريكية

في مساء يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر)

(١) علاقة التعليم بالمعاهدة

ليس من الغرابة في شيء أن تتخذ هذا العنوان موضوعا لبعثنا في هذه الليلة . ليس من الغرابة في شيء أن يكون ثمة اتصال بين مسائل التعليم القومي وبين تنفيذ المعاهدة للأسباب الآتية :

أولا — لأنه هذه المعاهدة مهما بلغ تعاؤم المتشائمين تلقاها بختار البلاد المصرية حادثا خطيرا ومرحلة حاسمة فاصلة فلما نحدد منذ أن غزا القرص والافريق مصر إلى يومنا هذا نظائرا . بهذه المعاهدة مهما بلغ تعاؤم المتشائمين أزالها قسر مصر على جعل في طريقها الجديد المرصوف بلفت تقاعها ما بلغت بمحو الدولة ذات السيادة

وإذا ما تتبعنا حوادث التاريخ السياسي عند جميع الأمم البائدة منها والباقية لوجدنا ان مسألة التعليم القومي لم تكن منذ القدم (ولا تزال) إلا علاقة بين الدولة والقرود وقد بدت تلاحق هذه العلاقة منذ أن أخذ كل من افلاطون وتلميذه أرسطو ان يبحثا في معنى الترية وأن يقولوا لنا في عبارة صريحة مبشكرة : « ان طبيعة الترية أو خصائصها يحددها نوع الدولة » وقد قال افلاطون أيضا : « ان الشبيبة اذا استقام تعليمها القومي جرت مقادير الدولة في اعتنا على أحسن منوال » وقال أرسطو : « ان أكبر العوامل في ثبات الدساتير وتوطيدها على دمامة راسخة البناء هو تكييف العلاقة بين طابع الترية وطابع الحكومة »

وعلى أساس هذا المبدأ التحكيم العهد شملت أعرق النظم التعليمية في أوروبا . على أساس هذا المبدأ أقام فريدريك الكبير صرح التعليم في بروسيا (ألمانيا) وعلى أساسه أقام نابليون بونابرت صرح التعليم في فرنسا وعلى منواله نسج رجال الجمهورية الفرنسية بعد . وعلى أساسه أقام جورج واشنطن ومعاصلروه صرح التعليم في ولايات أمريكا المتحدة . بيد ان هؤلاء الرماة وغيرهم من واضعي أسس الأنظمة التعليمية لم يتفقوا في تفسير هذا المبدأ ولم يتشعوا معا في تطبيق تفاصيله فبينما كان كل من فريدريك ونابليون يتادي بحق الدولة في تفكيك رعيها على نمط خاص وعيودج

2017		2016		2015		2014		2013		2012		2011		2010		2009		2008		2007		2006		2005		2004		2003		2002		2001		2000		1999		1998		1997		1996		1995		1994		1993		1992		1991		1990		1989		1988		1987		1986		1985		1984		1983		1982		1981		1980		1979		1978		1977		1976		1975		1974		1973		1972		1971		1970		1969		1968		1967		1966		1965		1964		1963		1962		1961		1960		1959		1958		1957		1956		1955		1954		1953		1952		1951		1950		1949		1948		1947		1946		1945		1944		1943		1942		1941		1940		1939		1938		1937		1936		1935		1934		1933		1932		1931		1930		1929		1928		1927		1926		1925		1924		1923		1922		1921		1920		1919		1918		1917		1916		1915		1914		1913		1912		1911		1910		1909		1908		1907		1906		1905		1904		1903		1902		1901		1900		1899		1898		1897		1896		1895		1894		1893		1892		1891		1890		1889		1888		1887		1886		1885		1884		1883		1882		1881		1880		1879		1878		1877		1876		1875		1874		1873		1872		1871		1870		1869		1868		1867		1866		1865		1864		1863		1862		1861		1860		1859		1858		1857		1856		1855		1854		1853		1852		1851		1850		1849		1848		1847		1846		1845		1844		1843		1842		1841		1840		1839		1838		1837		1836		1835		1834		1833		1832		1831		1830		1829		1828		1827		1826		1825		1824		1823		1822		1821		1820		1819		1818		1817		1816		1815		1814		1813		1812		1811		1810		1809		1808		1807		1806		1805		1804		1803		1802		1801		1800		1799		1798		1797		1796		1795		1794		1793		1792		1791		1790		1789		1788		1787		1786		1785		1784		1783		1782		1781		1780		1779		1778		1777		1776		1775		1774		1773		1772		1771		1770		1769		1768		1767		1766		1765		1764		1763		1762		1761		1760		1759		1758		1757		1756		1755		1754		1753		1752		1751		1750		1749		1748		1747		1746		1745		1744		1743		1742		1741		1740		1739		1738		1737		1736		1735		1734		1733		1732		1731		1730		1729		1728		1727		1726		1725		1724		1723		1722		1721		1720		1719		1718		1717		1716		1715		1714		1713		1712		1711		1710		1709		1708		1707		1706		1705		1704		1703		1702		1701		1700		1699		1698		1697		1696		1695		1694		1693		1692		1691		1690		1689		1688		1687		1686		1685		1684		1683		1682		1681		1680		1679		1678		1677		1676		1675		1674		1673		1672		1671		1670		1669		1668		1667		1666		1665		1664		1663		1662		1661		1660		1659		1658		1657		1656		1655		1654		1653		1652		1651		1650		1649		1648		1647		1646		1645		1644		1643		1642		1641		1640		1639		1638		1637		1636		1635		1634		1633		1632		1631		1630		1629		1628		1627		1626		1625		1624		1623		1622		1621		1620		1619		1618		1617		1616		1615		1614		1613		1612		1611		1610		1609		1608		1607		1606		1605		1604		1603		1602		1601		1600		1599		1598		1597		1596		1595		1594		1593		1592		1591		1590		1589		1588		1587		1586		1585		1584		1583		1582		1581		1580		1579		1578		1577		1576		1575		1574		1573		1572		1571		1570		1569		1568		1567		1566		1565		1564		156
------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	-----

جديدا لاتخاذ دقة الملاحظة والتجريب العلمى أساسا للتفكير . وهى التى لاتكون فصول الدراسة فيها ثكنات لاجنود أو أديرة للفناك بل هى التى تكون فيها الحياة كاملة والبيئة طبيعية تلتهم فيها الأزهار رائحتها الذكية وعيقها المنعش للنفوس وتشرق فيها الشمس بأشعتها الذهبية وتغرد الأطيوار بأصواتها العذبة الملائكية . تلك هى البيئة التى يجد فيها المربي جو الحرية فيمرح وتلاميذه ويعملون على أساس متين من المعاني لا الألفاظ والأعمال لا الأقوال وبناء صرح الأخلاق لاجواز الامتحانات والسلام

أين هذا النوع من المدارس من تلك التى لا يتم فيها الطالب عمله على الوجه الأكمل حتى يكون قد درس حتى مل الدرس وانكس على النظريات حتى ضجر وعافت نفسه النظريات والعمليات معا . أين هذا النوع من المدارس من تلك التى يصبح فيها التلميذ الفقير « على الاخص فى نهاية العام » من فقة الغذاء وكثرة الحفظ والاستظهار وعمق الامتحانات النهائية وأهيا ناحلا خامل الذهن وقد ذهب نضرتة وانطى سراج ذكائه أما البت خصوصا فى بعض المدارس العالية وانفصول الثانوية النهائية فلا يتبقى منها إلا الألواح ولا يتخلف من جسمها الدقيق إلا جلد على عظم

المدرسة الصحيحة تكون فيها اليد **في مقدمة الوسائل** لتربية الملكات العقلية . وعلم النفس يشرل لنا علماؤه أن لا توجد مشاهدة بغير حركة والحركة من أعمال اليد فى الغالب ولا غرابة إذا وجدنا المدارس الراقية الثانوية منها والابتدائية تعنى بالأعمال البدوية والمناخية والزراعية

يقول الفيلسوف الألماني نيتشه أن التربية نومان عامة وعاملة فالعامة . هى التى تكون الصلة الوحيدة فيها بين المعلم والطالب هى الأذن وتقوم التربية فيها على عملية ذات طرفين فى الطرف الاول نجد لسانا « كناية عن المعلم » يتكلم ويحاضر ويشرح وفى الطرف الثانى نجد أذنا « كناية عن الطالب » تسمع وأحيانا نجد يدا تتحرك على القوماس لتدوين المذكرات . هذا النوع من التربية فاسد بالطبع لأن المعلم يكون فيه محطلة إذاعة والطالب آلة لاسلكية لا قطة

التربية الصحيحة لاتعتبر الطالب وعاء يطلب ملؤه أو قطعة من المعجين يطلب تشكيلها تشكيلا . أو استطوانة من الشمع كاستطوانة « الفنوغراف » تنقش عليها المعارف والعلوم . كلا فان هذا الاعتبار يجعل للتلميذ عاطلا لا عاملا قابلا لا فاعلا متأثرا لاموترا يهبط عليه الوحي يخلق الفن خلقا . هذه هى المدرسة التى وصفها الأستاذ الفرنسي المعروف فربيه فى كتابه هى المدرسة التى تعنى بالطالب قبل المعلم والمعلم قبل الناظر والناظر قبل المفتش والمفتش قبل المراقب والمراقب قبل وكيل الوزارة ووزيرها

ولى ذلك العصر الذى كان فيه أساس التربية الفلسفة العقلية كما كانوا يسمونها وهى تلك الفلسفة التى كانت تعنى بتدريب الذهن وتقوية بالمعارف والعلوم بعض النظر عن قيمتها العملية . ولى ذلك العصر وأقصى وحل محله عصر البداغوجيا — التربية الصحيحة — بمد مجىء كومنيوس وروسو

وبستلوزى وهريوت سبنسر ووليم جيمس واستانلى هول وجون ديوى ، هؤلاء جميعا يتفقون على أن الوظائف الذهنية ليست إلا وسائل الغرض منها الانتاج والنشاط . والنشاط هو ما عليه علينا حاجتنا كان علم النفس القديم يدفع المدرسة إلى تزويد الطلبة بأكثر كمية من المعرفة لأن المعرفة في ذاتها كانت ، تعتبر قوة . بيد أن علم النفس الحديث يجعل المعارف خاضعة لحاجات الانسان خادمة لها لأن هذه المعارف ماضية إلى وسيلة تتوصل بها إلى غرض أو أغراض

تودى بنا هذه النقطة إلى الإشارة إلى الامتحانات العامة واعتمادها على الذاكرة أيها المادة خادمة للذكاء والتفكير وغير سابقة لها ولا نستطيع الانكار أن الذاكرة ملكة ثمينة وأن هناك من الحقائق العامة التي يجدر بكل متقف معرفتها لانتفاعها بحياتنا اليومية في القرن العشرين وأدب التفكير لا يمكن أن يتأتى بغير معلومات وحقائق أو كما قيل أننا لا نستطيع أن تفكر في فراغ . هذا كله لا ينكر ولكن الامتحانات العامة كما نراها في بلادنا اليوم تؤله الذاكرة وتوحد الأنظمة فتسيرنا على وتيرة واحدة وتجعل الأساتذة آلات مسخرة تتحرك مدفوعة بهذه الأنظمة فهمل الماطنة والعقل وتقتل الاقدام والتأهب لحروب معارك الحياة

قال علماء النفس في القرن الماضي أن الطاقة العقلية لها أروم وطائفت وهي (ا) الذكاء (ب) الذاكرة (ج) والتخيل (د) وصواب الحكم أ التمييز ، فالعقل من خصائص الذكاء والحفظ من خصائص الذاكرة وتداعى المعانى من خصائص التخيل والمروية والمقابلة من خصائص التمييز

ولكن لمعنى أتينا تربية هذه الوظائف طالما كنا لانعنى بغير الذاكرة وطالما كنا عبيداً للعناهج عبيداً للحفظ عبيداً للامتحانات فالتألمها مراقبة خلسة تنويها لتدريها . وهنا أحل حضراتكم إلى مادبجته براعة محمد عوض ابراهيم بك وكيل الوزارة المساعد في تقريره عن التعليم الثانوى حينما كان مراقبا لتلك التعليم وإلى تقرير أحمد الهلالى بك في « التعليم الثانوى » عيوبه وطرق إصلاحه « حينما كان وزيراً للمعارف وأخيراً إلى تقرير حسن فائق بك (صفحة ٣٣) مراقب التعليم الثانوى في هذا العام

٣ - السياسة والتعليم القومي

ويظهر أن بعض العلل التي فشكو منها في بلادنا مصابة بها بعض البلدان اللاتينية فقد ظهر في غضون سنة ١٩٣٦ كتاب نفيس باللغة الفرنسية

ومؤلفه أستاذ كبير سابق في جمهورية بيرو من جمهوريات أميركا الجنوبية والآن ممثل سياسى لبلاده في بروكسل عاصمة البلجيكي . ويحيل إلى أن بعض ما جاء في هذا الكتاب النفيس موجه إلينا رأساً واستمحو إلى أيها السادة أن أترجم لكم بعض أقواله بحروفها

« وما يؤسف له أن العواطف السياسية والأهواء الحزبية كثيراً ما تهمل الناحية العلمية في البلاد فتقتضى على الروح العلمية قضاء مبرما وتطغى شعله الذكاء في الافراد العاملين وتهضم حقوق العلماء

حتى تأخذ بحومهم في الأقول وتبجلى هذه الظاهرة على الاخص في البلاد التي تضع على رأس وزارة المعارف فيها وزيرا من رجال السياسة يؤخذ عادة من طائفة رجال القانون الذين يحملون مبادئ التربية جهلا تاما ولا يعينهم من عمالهم سوى إرضاء الدائرة الانتخابية التي إليها يلتصقون ويعدون هؤلآء إلى وضع الثقة في أيدي الموظفين من محسوبيهم من غير الفيين الذين ينفذون إرادتهم ويحملون أولئك الذين درجوا في أحضان مهنة التربة والتعليم فيسقط مستوى التعليم إلى درجة غير محدودة العاقبة إلى أن قال

« يظن رجال السياسة أنهم ذوو مقدرة على حل مشاكل التعليم بمناقشات قانونية لا تحدي تعما في حين أن هذا الحل يتطلب إلماا جديا بمبادئ التربية التي لا سبيل للوصول إليها إلا بالدرس والمرونة » إن وضع المناهج واختيار أساليب التدريس لا تتطلب رجال السياسة بل رجال التعليم وأن رجال القانون السياسيين ليسوا من الكفاية في فن التربية وليس لديهم من الحرية ما يخول لهم العمل في مصلحة المتعلمين »

وهنا شدد التربة على مبدأ الأمانة والأخلاص فيما يختص بالقائمين بمهام الثقافة التومية فقال إن العمل بأخلاص أمر وعبر المنتس منيع **الدرك** ولكن من المستحيل أن تصنع رجلا إذا لم تكن أنت رجلا وتعليقا على أقوال هذا المربي العظيم يقول - والحق أولى أن يقال - إن كل محاولة في إصلاح أنظمة التعليم في بلادنا قامت على أيدي وريرين أو ثلاثة من رجال القانون والسياسة ولم ترق محاولات ما في سبيل الإصلاح على أيدي غيرهم من رجال الوزارة الفيين بيد أن الجواب على هذا (أولا) أننا إذا عددنا أسماء الوزراء السابقين للمعارف فقلنا نعتز على وزير من غير رجال القانون والسياسة (ثانيا) أن غيرهم من رجال الوزارة الفيين لم يكونوا وزراء وإذا فلم يكن لهم حول ولا سلطة على مديد الإصلاح حتى لو كان ذلك في مقدورهم

٤ - رجال التربية المصريين في مئة سنة

في سنة ١٨٣٦ أنشئ في مصر مجلس المعارف العمومية أي أننا نستطيع أن نقول أن وزارة المعارف العمومية « رغم ما طرأ على اسمها من التغيرات » تبلغ من العمر قرنا كاملا ولكن إذا حق لنا أن نتعز أننا أخرجنا للبلاد أطباء من الدرجة الأولى ومحامين وقضاة من الدرجة الأولى وأوشكنا أن نخرج أيضا مهندسين من الطبقة الأولى . إذا حق لنا ذلك فهل نستطيع أن نأهى باننا أخرجنا معلمين من الدرجة الأولى ومماهد علمية (ابتدائية وثانوية) يصح أن نتخذ نموذجاً للتربية الصحيحة في خلال السنوات المئة الماضية أو ربع القرن الأخير ؟ اسمعوا أيها السادة مايقوله أحد رجال الوزارة أنفسهم . يقول محمد الحسيني مصطفى بك في تقريره سابق ذكره صفحة ٥ ونقلا عن مسترمان الخبير الانجليزي

« انه لا تكاد توجد مدارس في مصر تظهر فيها مبادئ التربية الحديثة مطبقة تطبيقاً تاماً في تنظيمها المدرسي وطرق التدريس والادارة فيها أي أنه لا تكاد توجد مدارس يصح أن يتخذها مدرس التربية الخبير بفتنه نموذجاً لتدريب طلبته فيها . . . »

أنشأت الوزارة مدرسة من هذا النوع كان محادها والعامل على أنشائها معلم مال طبيعته الى فنون التربية غير أن الوزارة أرادت مكافأته فعبته ناظراً وهذا هو الداء الذي يصيب التابعين في مصر . لا تكاد نجد جراحاً نابهاً حتى تحتطه من غرفة العمليات التي يؤدي فيها خدمات جليلة تحتفيها لولايات الانسانية حتى نضيه على رأس مصلحة ادارية يقضي يومه في التوقيع على أوراق لانهاية لها ولا تكاد نجد معلماً ماهراً حتى ننقله الى عمل اداري ينسى في طاحونه الدائمة الدوران واللفز مهنته الراقية

هل أخرجنا أيها السادة طلبة هذا القرن معلماً واحداً مصرياً بالمعنى السامى نستطيع أن نقول عنه انه قضى حياته في خدمة مهنته والعمل على ترقيتها وابتكار الطرق والنظم التي يصح أن تتخذ نموذجاً في مصر والمخارج امثال السيد مدام مونتسوري في إيطاليا ودي روش في فرنسا وبوفيه وكلايرد في سويسرا وديوى في امريكا وذكروني في برلين ؟ أو هل عاش فينا ومات رجل أشرب هذه المهنة وعاش ومات مخلصاً أميناً لها . اسمعوا أيها السادة مائكة الدكتور ذكروني على مائدة كان يكتب عليها قبل وفاته بوضع دقائق وقد وجدت هذه العبارة على ورقة لم يحفظ مدادها وهي : -
« لا ينجح الضعيف مثل قضي ربع قرن في خدمة هذه المهنة الشريفة في هذه اللحظة التي أشعر فيها بذو الاجل . يحق لي أن أمني الى مغري الأبدى الأخير بسلام فرحاً مبتهجا مرتاح الضمير لأن جهودي لم تذهب عبثاً منتورا وان هذا البناء القوي وضعت أساسه بيدي سلم الى من يستطيع القيام بأتمامه خير قيام من أبناء وطني المخلصين »

أيها السادة توات الأيام وتوات على وزارة المعارف فيها ضروب من أنواع النشاط شبيهة ببعض الثنوبات التعصية فن الوزراء من كان نشاطه محصوراً في تكوين لجان لدرس حالة التسليم القومي وكتابة التقارير المسبوبة أحيانا ثم عقد جلسة مرة واحدة فتطفئ لهيب حماسته وتزول الجلسة تأجيلاً نهائياً لا انعقاد بعده . ومن الوزراء من كان نشاطه محصوراً في نقل الموظفين والمعلمين بالجملة . - دم ما يbane من المشاريع سابقة . ومنهم من كان نشاطه موجهاً الى السهر على العرف والعادة والدفاع ع . - دفاع الأبطال في قاعة الدراسة وساحة القعب وغرفة المائدة وحجرة النظار والمدرسين وفيهم من كانت نويته تدور حول التنقيب عن الكتب القديمة واحياء الرمم البالية المفيد منها وغير المفيد . ومنهم من حصر نشاطه في المناداة لقومية تمتد من البحر الهندي شرقاً والبحر الاطلنطي غرباً . ومنهم بالطبع من تمتد على كرمى الوزارة والنوم ملء جفنيه

قد يقول قائل أيها السادة ان هذا الكلام ينطبق على جميع الوزارات . قد يكون هذا صوابا بيد أنه بمجرد بنا أن نذكر أن وظيفة هذه الوزارة تمتاز عن سواها بأن عملها أن يقوم بتقنين الأمة وعليها أن تكون في مقدمتها جميعا

٥ - كلمة ختامية

مالحة البكالوريا يطرقون أبواب الوظائف خصوصا الحكومية منها ولا يذكرون في موازنة الاعمال الحرة المستقلة وما لحقه دبلوم الزراعة يتهاوتون على وظائف وزارية ولا يحارون الاشتغال بالزراعة ، وما لحقه دبلوم التجارة يثرون وظيفة صكتاية متواضعة على القيام مستقلين بتجارة متواضعة ، وما لحقه دبلوم الطب يؤثرون العمل في ظل الحكومة وإن أدى ذلك الى قتل الروح العلمي فيهم ويسببون مهنهم على الكفاح في سبيل الحياة حرارا عاملين

هذه أسئلة جارية مؤلمة تلقى على الناشئة المصرية بغير انقطاع وتكال لهم بغير حساب تحمل بين عباراتها أشد معاني الهم والتفريع بغير مرر وتدل و ظاهرا على حقائق مليئة منطقية ، وماهى في الواقع الإلتقاع جوعاء وأقوال مضللة للسامع مجعنة بحقوق المشلول ماسة بمرته وكرامته اى لعمري - أليمت هذه الخطة التى رسمها للطلاب المصري المسكين منذ أن رأت عيناه حجرة الدراسة أليست هذه هى القلة التى ولبا وجهه شطرها منذ مومة أظفاره . أليست القالب الحديدى الذى حبسنا فيه قدمه الصغيرة وشددنا عليه فيه الخناق هو هو عين القالب الذى خصصناه لسائر اخوانه طولا وهرضا وشكلا وزيا وان اختلفت أقدامهم . أليس هذا النظام الموحد الحربى الدقيق الذى يسير على وتيرة واحدة هو الذى يحسك بأبدي هؤلاء الطلاب فيطرق بها تلك الابواب ألا يظل الطالب طيلة الامترة المدرسية في حركاته وسكناته في مذكراته واستظهاره مقيدا بكتب ومذكرات وامتحانات دورية تقتل فيه ملكة التفكير وتطفى فيه شعلة الابتكار وتذهب بما قد يكون في طبيعته من شجاعة ومجازفة وإقدام ؟ ألا يعتمد في نجاحه على مذكرات أستاذه حتى في معظم المدارس العليا لأن النظام في ذاته لا يشجع على البحث العلمى والرجوع إلى عدة مؤلفات بدلا من كتاب مقرر واحد أو مذكرات محدودة مطبوعة الزيل أن لا يستوعب ما فيها

ليس من شأن هذا أن يخرج آلات أنومنتكية لارموسا مفكرة أمن الغريب أن يتحرك هذا الجيش كله في طريق واحد نحو جهة واحدة وهدف واحد ؟ هل نوعنا المدارس تنوعا يجد من النهض ما يناسب الفروق الفردية فيهم ذكاء وكفاية وزعات وميولا وعواطف ورفائ ؟ هل نظمنا البلاد تنظيما اجتماعيا بكف للحد لهذا الجيش العرمم المدجج بالسلاح ان يعلم إلى أية موقفة حرية فسوقه ؟ فإذا كان الجواب سلبا أفلا يكون مثلنا مثل من

« الفاء في الهم مكتوبا وقال له إياك إياك أن تبطل بالماء »

فِي الْحَيَاةِ وَالْعَمَلِ

بقلم سلامة موسى

وجه آخر للمضارة

تسمى الينا شركات الاخبار الأجنبية أكر الاساءة عندما تقتصر أخبارها على خطب الزعماء عن الحرب أو عندما تنقل الينا فظاخم الثورة العسكرية أو الشيوعية في اسبانيا أو عند ملتحدتنا عن فظاخم الفاشيين الايطاليين أو الشيوعيين الروس . وهي تسمى الينا لأنها تنقل الينا صورة ناقصة للمضارة الاوربية بل صورتها القبيحة صورة الامراض التي قنتابها من وقت لآخر وهي لا بد متخلصة منها بوما ما . ونحن بمداومة القراءة لهذه الاخبار نتوهم أن المضارة الاوربية في نزاع لا ينقطع تأكل نفسها وتبدد قواها وهي عن قريب زائلة

وهذا وهم عظيم ترجم التبعة فيه إلى هذه الشركات . فمى أورما من التجديد في المضارة والثقافة ما سوف يسر عن مور عظيم للانسائية يشبه ذلك الفوز الذي حقق لاورما في القرن الخامس عشر حين قضت عن نفسها غمار القرون الوسطى واختطت طرقا جديدة للتفكير البكر الجريء . ولا يمكن المنفى في الفلسفات الاوربية الامريكية الحديثة الا أن يعمر بأقنا على وشك الانتهاء إلى مرسة برسو عليها الفكر البشرى وبجد منها مفتاح التجديد الاجتماعى والتضامن الدبنى . فنحن الآن في ظلام النظريات المتخبطة التي قامت على الاسس المزعومة لعادات والعقائد الموروثة .

وقد وصلنا إلى مرحلة الحيرة والتخبط فلا بد من أن نصل بمدها إلى اليقين والاستقرار ولكن الشركات التلفرافية للاخبار لا تبالي هذا التجديد في أوربا لانه خلو من القيمة

الارجابية التي لسائر الاخبار . وهي تقصد إلى الارجاف قتل كل شىء . فهي تنبئنا عن اصطدام قطارين أو عن لشاعة الزواج لاحد الامراء أو عن مقابلة زرين أو تنقل الينا خطة أحد الفاشيين الايطاليين يخاطب فيها الجمهور بلغة العصر الجبرى . ولكنها لم تنقل الينا ان مطران يورك هو موظف في البولة البريطانية دعا حكومته إلى التخلي عن المستعمرات وتسليمها لمعصبة الامم . ولم تنقل الينا ان الهيئات الرسمية وشبه الرسمية في انجلترا وحدها قد بنت من الازل الجديدة للعمال ما بلغت قيمته نحو ٢٠٠ مليون جنيه . وهي منازل تحوى ألوان المضارة الحديثة تقريبا . وتفضل من هذه الوجبة بعض منازل الباشوات في القاهرة . لان هناك في هذه المنازل رغبة متممة وهنا في

في منازل باشواتنا رُف سخيف . وهي لم تنقل إلينا ان للدارس الابتدائية في معظم أقطار أوروبا الغربية توزع الهدايا والهدايا للطلال . ولم تنقل إلينا ان رومانيا قد خفضت الدونطمة في بعض الاحيان الى ٢٥ في المائة من أصلها . ولم تذكر لنا ان هتلر يسير بقوة في ناحية رقية المادة الانسانية الالمانية بتعميق العاجزين والتاقصين في الجسم أو العقل وهو ينظر خلال ذلك الى الشعب الالمانى بعد الف سنة

وهذه الشركات لم تنقل إلينا خبر « فطور أوصلو »

وما هو فطور أوصلو عند الذين لا يفهمون سوى تلك الاخبار الارجافية ؟

هو هذا : ان الامم الثلاث الاسكندنافية قد أخذت بنظام قد نشأ أولا في أوصلو عاصمة نرويج ، وهو ان الطفل عندما يصل الى المدرسة يكون أول شيء يبدأ به أن يتناول فطورا يحتوى ثلث لتر من اللبن وكسرة من الخبز الاسمر وقطعة من الجبن وقطعة أخرى من الزبدة وتفاحة أو برتقالة أو أى فاكهة أخرى

هذا الخير ذابل بعيد عن الارجاف وليس فيه جلجلة موسوليني ، ولكن لو استطاع الايطاليون ان يعمموا هذا الفطور في بلادهم لاصبحوا أمة متمدنة ولو ضلعت منهم الحبشة وطرابلس ، ونحن أيضا نستطيع أن نبدأ في التجربة لو أننا فكرنا هذا التفكير بدلا من أن نفكر في القضاء عجم لغوى تنفق عليه أربعين المليون لى بولت لنا أطلا كربة لا يستعملها أحد ، وكنا نكون متمدين حقاً لو أن هذا المبلغ الضخم قد اشترينا به صابونا ووزعناه بين الفقراء لى يفتسلوا أو لو أننا اشترينا به لبنا أعطيناه للأطفال المعمرين المساكين فى السيدة زينب وبولاق ان في أوروبا فضائل غير شرعية خالية من الآفة لا تنقل إلينا شركات الاخبار شيئا عنها . ولكننا فى أشد الحاجة لان نعرفها ونعمل بها أو على الأقل نفكر فيها . وذلك لان هذه الاخبار تتصل باصلاح النفس واصلاح الجسم

ألمانيا تستغنى عن العالم

أعلن هتلر قبل اسابيع مشروع السنوات الاربع الذى يراد به أن تكفى ألمانيا نفسها فستغنى عن المواد الخام التى تشتريها من الاقطار الاجنبية وتصنعها من مواد أو محاصيل ألمانية . ويمثل على هذه الخطة انها لا تحك مستعمرات تستطيع أن تأخذ منها موادها الخام ثم هى قليلة النقد لا يمكنها أن تؤدى الأمان الباهظة التى تطلبها هذه المواد فى أسواق العالم ويجرى . ألمانيا على أن تنشأ هذا الاستغناء عن العالم انها نجحت فى الماضى فى كثير مما

